

نقد

نظام التعليم الحديث

للأزهر الشريف

وكلمة

في التعديل الجديد الصادر في سنة ١٣٤٢

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بالجامع الأحمدي

المطبعة العمومية بطنطا

كلمة فى التعديل الجديد

وجدت من الواجب أن لا أترك هذا التعديل الذى دخل على نظام المعاهد الدينية هذه السنة سنة ١٣٤٢ هجرية بدون اظهار ما فيه من وجوه النقد وقد قضى حبي للمسالمة بارجاء ظهور كتابى هذا الى أن ظهر هذا التعديل وفيه قليل لا يذكر من وجوه الاصلاح التى دعوت اليها فيه فرأيت أنه لا يليق أن أضحى بأفكارى وأن أترك للزمن اظهار ما سبقته اليه وأقدمت على اظهار الكتاب بعد خمس سنين أو أكثر قضيتها فى انتظار الفرص المناسبة وأنا على أحر من الجمر والى أن كاد ينفذ منى الصبر

أهم ما جاء به هذا التعديل انشاء قسم للتخصيص فى الازهر ولا أدرى كيف يمكن هذا وعلومنا على حالها وكتبنا هى هي وطريقتنا فى التعليم لم تتغير وكلها لا تصلح للتخصيص ولا لتربية طلاب يمكنهم تأليف الرسائل المطلوبة منهم فى العلوم التى

يتخصصون فيها يقتضى هذا التعديل اللهم الا أن يكون المراد أن تكون على نحو التأليف المعهود لنا اختصاراً من كتاب أو بحثاً فى عبارة متن فاذا كان المراد هذا فستكون فضيحة الدهر وأعجوبة هذا العصر ومالا يرضى الاصدقاء وتشمت بنا الاعداء

وان تعجب فعجب انشاء قسم للتخصيص فى النحو والوضع والصرف كأنها علوم مقصودة لذاتها وليست من الوسائل التى قال فيها ابن خلدون انه يجب أن لا توسع فيها الانظار ولا يكثر الكلام وحتى علم الوضع يستحق التخصيص ماشاء الله

كذلك ما كان يصح أن يقتصر فى التخصيص على سبعة علوم وأن تهمل العلوم الحديثة فلا تنشأ أقسام للتخصيص فيها وكان يجب أن تكون أقسام التخصيص على النحو الآتى أو قريباً منه :

(١) الفقه والاصول (٢) التفسير (٣) الحديث (٤) المنطق والتوحيد والفلسفة (٥) فلسفة الاديان (٦) اللغات القديمة والحديثة وعلاقة بعضها ببعض (٧) علوم البلاغة

وآداب اللغة (٨) الانشاء وقرض الشعر (٩) التاريخ القديم والحديث (١٠) العلوم الطبيعية (١١) العلوم الفلكية (١٢) العلوم الرياضية

ويراعى فى درسها أن تكون على النحو الذى ينتشه تحت عنوان (كيف تهذب العلوم فى كتابى الآتى)

وقد جاء فى هذا التعديل مما فى كتابى تقديم درس بعض العلوم الحديثة للمبتدئين ولكنه لم يرفع عنهم العلوم الصعبة التى رأينا تأخير درسها لهم فكانت النتيجة بقاء هذا الفساد على حاله بل زيادة ارهاق هؤلاء الطلاب وتكليفهم من العمل مالا يطيقون وكان من ذلك تقديم درس الحساب فى السنة الاولى وهذا شىء جميل ولكنه فات واضع هذا التعديل أن معظم المدارس الاولية يدرس فيها الحساب الى نصفه بطريقة أرقى من طريقة درسه عندنا فيكون درس الحساب من أوله لمن يأتى الينا من تلك المدارس وهم الاكثر عبثاً وتضييعاً للزمن وأقبح منه أن نجمع معهم من لا يعرف من الحساب شيئاً ممن يأتى الينا من البلاد التى لم ينتشر فيها التعليم الاولى الحديث فكيف يمكن أن يسير هؤلاء معهم وفى أى شريعة فى التعليم

يصح ذلك ؟

ثم انه وسع فى مدة الدراسة ولم يزد فى العلوم الدراسية شيئاً من العلوم اللازمة للمعاهد بل حذف بعض العلوم فنشأ عن هذا قلة أوقات العمل اليومية للطلاب وازالة حصص كثيرة كانوا يقضونها فى الدرس فأصبحوا يقضونها فى اللعب والمشى فى الشوارع ولا يخفى مافى هذا من الضرر على أخلاقهم وأنه يقتل فيهم النشاط العمل ويزرع فيهم حب الكسل وهل من العدل أن نأتى بهؤلاء الطلاب وأغلبهم من الطبقة الفقيرة وآباؤهم فى حاجة اليهم والى ماينفقونه عليهم ليصرفوا معظم أوقاتهم فى غير عمل ان الواجب أن تكون الحصص اليومية خمساً أوستاً كسائر دور العلم المصرية لا ثلاثاً كما يشيعون أنها ستكون عندنا كذلك فى الاعوام الآتية

هذا وما كنا نحب أن نرى هذا الاضطراب الذي أعقب هذا التعديل وأن نشاهد ماحدث من كثرة التغيير والتبديل ولقد نشأ هذا من مخالفة سنة الطبيعة بمحاولة الهدم والبناء فى لحظة واحدة فانهم لما أرادوا ان يقصروا

مدة الدراسة قبل التخصص بالنسبة للطلاب الموجودين الان بالمعاهد لم يروا الا أن يكون هذا بأن يطفروا بطلاب كل سنة الى السنة التى بعدها دون أن يدرسوا شيئاً من مقررات السنة التى قبلها مع أن فى هذا أكبر ضرر بالطلاب وأنه كما لا يمكن البناء على غير أساس لا يمكن أن تقوم كل طبقة من البناء الاعلى الى قبلها ويظهر أن قد هالهم هذا الضرر فلم يروا أن يوقعوه على سائر الطلاب بل قصروه على طلاب السنة الخامسة والعاشرة بدون سبب يبرر هذا لدى باقى الطلاب فارتفعت الشكوى وعلت أصواتهم بالتظلم من حرمانهم من هذا الحباء وكلهم لنا أولاد وابناء وقد كانت هناك طريقة معقولة لتنفيذ الامر بدون اخلال بنظام التعليم ولا اجحاف بأحد وهى أن يوضع لهؤلاء الطلاب نظام استثنائى يبقى فيه كل طالب فى سنته ويقسم ما كان سيدرس لهم فى خمس مثلا من السنين قبل هذا التعديل على أربع سنين وهكذا فنستعين بطول الزمن وبكثرة ما عند الطلاب من اوقات الفراغ بعد هذا التعديل على ارضائهم بجعل مدة دراستهم اثنى عشرة سنة كغيرهم وهذه الطريقة لا يزال العمل بها ممكناً

الى الان وبعد الان ولعلها تنال لدى الرؤساء ما تستحقه من الاستحسان

ولقد سكتنا لما نفذ قصر القسم العالى على الازهر وقلنا امر وقع وقضاء نفذ ولكنه من الواجب وقد جعل هذا التعديل أدواراً للتعليم أربعة بعد ان كانت ثلاثة ان يعاد القسم العالى الى المعاهد التى حرمت منه وان يلاحظ ان المتعلمين فى مدارس الحكومة ومعظمهم من طبقة الاغنياء لا يجمعون من سائر البلاد الى القاهرة لاتمام تعليمهم فى المدارس العالية الا اربع سنين فكيف نستحل إن نأتى بطلاب المعاهد من اقاصي مصر ومعظمهم ممن قدمنا ونحكم عليهم باتمام تعليمهم فى القاهرة ثمان سنين مع انهم احق بالشفقة واولى بالرحمة وبأن يسهل لهم طلب العلم وتقرب اماكنه من بلادهم لرقة حالهم وقلة مالهم وانا بطلبنا اعادة القسم العالى الى المعاهد التى كان فيها دون قسم التخصيص ننصف اولياء امورنا ولا نشتط فى الطلب منهم فواجب ان ينصفونا ايضاً ولهم منا الشكر ومن الله جزيل الاجر ؟

عبد المتعال الصعيدى

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله حمدا كثيرا واصلي على نبيه صلاة دائمة واسأله هداية وتوفيقا وبعد فأن البحث فى احوال المجتمع واظهار عيوب مافيه من دور التعليم وغيرها كأن الاساس الذى قامت عليه حضارة هذا العصر ومدنية امم الغرب وكان قيام علمائهم به سبب تقدمهم وسكوتنا عن مساوئنا سبب تأخرنا وقد تنبه لهذ كثير منا بتأثير ماحل بنا من المصائب فقام بأظهار عيوب التعليم عندنا وكانت حركة الاصلاح متجهة نحو الازهر والمعاهد الدينيه ولا غرو فهو الرأس المفكرة فى الشعب الاسلامى ومطمح انظار الامة المحمدية. فكل اصلاح يأتيهم من ناحيته مقبول . وكل امر بأمر به مطاع . لما لهم فيه من تمام الثقة وحسن الظن . وكان الازهر يومذاك لايدرس فيه الا بعض العلوم الدينية والعربية . على طريقة سيئة لاترقى طلابه ولا تنهض به الى الامام . اما العلوم

الكونية من طبيعية ورياضية وفلكية ، فكان القوم فى غفلة
عنها وكانت وكان لم تكن علوم آبائنا الاقدمين . ولهم فيها
المؤلفات النفيسة والاسفار الضخمة تقاتها امم الغرب عنهم
فاكتشفوا بها الاقطار وامتلكوا الشعوب ، وتوسعوا فيها
حتى حركوا بها الجماد على ظهر البر والبحر وطاروا بها فى
السماء كما سبحوا بها تحت الماء . فلما حاول اولئك النفر ان يدخلوا
تلك العلوم في الازهر ثانيا قامت قيامة رجاله وظنوا بتلك
العلوم الظنون فلم يفل ذلك من عزيمتهم ولم يردهم عن قصدهم
بل استمروا فى الجهاد ولم يتركوا المناداة بالاصلاح وانصارهم
كل يوم فى ازدياد حتى أمر حاكم البلاد بأنشاء نظام جديد
للمعاهد الدينية وادخال بعض التحسين المطلوب على نظام
التعليم فيها وان يدرس فيها بعض العلوم الرياضية والطبيعية
وهذا النظام الجديد هو مانقصد نقده فى كتابنا هذا فسنبين
أنه لم يأت بالغرض المطلوب وانه لم يكن المراد للطاعنين
على النظام القديم وانه فيما اتى به من قليل مما كانوا يطالبونه
لم يسر فيه على الوجه المطلوب والطريق المنشود وقبل ان نشرع
فى تفصيل ذلك نأتى بالرد على مايقوم بنفس من لايزالون

جامدين على القديم قائلين ان فى علوم الدين الكفايه وفى اشتغالنا بغيرها تضييع لها. ونحن رجال الدين فليس لنا الا التفرغ لعلومه وليس فى جهلنا بغيرها نقص لنا او ضرر على الدين. تلك أقوالهم وما ابعدها عن الحقيقة. فعلوم الطبيعة والرياضة والفلك علوم نافعة ولا يماري احد فى نفعها وقد حثنا الله ورسوله على تعلم كل علم نافع سواء كان من علوم الدين او العربية او الطبيعة او الرياضة وقد قال الله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض وهل يمكننا النظر فى السموات الا بعلوم الفلك وفى الارض الا بعلوم الطبيعة ولقد كانت هذه علوم آبائنا اخترعوا بعضها وترجموا بعضها عن لغة اليونان ايام الخليفة المأمون ومن بعده والف فيها كثير من مشاهيرهم مثل الغزالى والفارابى وابن سينا وابن رشد ولقد أصبحت علوم الطبيعة هى العدة التى تتكافح بها الشعوب فى ميدان الحياة والسبيل الذى تتوصل به الامم الى العيش السعيد فى هاته الدنيا. وبها ترقت الصناعة وتحسنت الزراعة ولا يمكن لامة تريد ان تحفظ نفسها بين الامم ان تستغنى عنها فهل يليق بنا علماء الدين ان ننفر منها وللناس

فينا قدوة نستحسن ما حسناه ويكرهون ما كرهناه

ياقوم انا فى عصر فشا فيه الالحاد وقوى فيه امر زعماء الماديين في الاقطار الغربية فغلبوا رجال دينهم هنالك على امرهم بسبب معاداتهم لتلك العلوم وعدم اقبالهم على تعلمها

فأن كنا لانحب ان تمثل الروايه معنا فلنصح من غفلتنا هذه ولنسر فى اول المصلحين ولنتدرع بالعلوم الحديثة حتى لايكون لاحد تفوق علينا فيغلبنا على امرنا وهاهم ابناؤنا يتفلتون منا واحدا فواحداً ويتخطفهم دعاة المذاهب الحديثة من رجال الشرق وما اظن الان هذا بدء الرواية فأن مكثنا على جمودنا فستتم فصولها واحداً أثر واحد لاقدر الله. ولنفرض أن تلك العلوم كفرية كما يظن البعض ولكنها صارت سلاحا قويا فى يد الخصم به يصول على الديانات ويستهوى ابناءها اليه . افليس من الواجب أن نعرف ماهو ذلك السلاح كى نقابله بمثله ونرد كيد حامله فى نحره. نعم يجب علينا ذلك ويجب أن نلبس لهذا العصر لبوسه ونخلع عنا ذلك الثياب الخلق فلكل زمان حال . ولكل عصر دولة ورجال . وقد مضى ذلك الزمن الذى كان العلم فيه وقفا علينا منا يطلبه الطالبون والى

ازهرنا تشد الرحال من سائر الاقطار مضى ذلك الزمن
وأصبح بجانبنا أهل العلم المصريون من الشرق والغرب
وبجانب معاهدنا مدارسهم يدعون الناس اليها وينافسون بها
ازهرنا ومعاهدنا والناس تنقض من حولنا اليهم وتترك
معاهدنا الى مدارسهم. دع المجلات الشهرية والصحف اليومية
التي ينشرون بها بين الناس مذاهبهم الحديثة وعقائدهم الجديده
فأن صح لنا أن لا نسعى الى النهوض فى ذلك الزمن الدي
لم يكن لنا فيه منافس فلا يصح ان نظل على جمودنا في هذا
العصر الذى لنا فيه الف منافس. بل يجب أن ننهض بالازهر
والمعاهد ونجعل رجالها أرقى رجال هذا العصر لا ينقصون
عنهم علما بالقديم ولا معرفة بالحديث ولا اطلاعا على احوال
العمران ولا دراية بمختلف اللغات وهذا ما يتمناه لنا المخلصون
من أبناء هذا العصر الذين الموا بمختلف العلوم الحديثة
واستخدموها فى الدفاع عن دين الاسلام وبيان مزاياها
على سائر الاديان

مقارنة النظام الحديث بالقديم

أذا قارنا بين النظام الحديث للمعاهد وبين نظامها القديم وجدنا الفرق بينهما لا يكاد يدرك ووجدنا النظام الجديد لا يزال يتعلق بأذيال القديم ولم يأت بالفرض المطلوب من لفت الأنظار ألى ما جد في عصرنا من معارف واستحدث فيها من أفكار ومذاهب ولا يزال طالب النظام الحديث كالطالب القديم لا يدرك تماما حقيقة الحركة العلمية فى هذا العصر ولا يمكنه أن يقف فى وجه عالم غربى لا يبنى حقائقه العلميه ألا على أساس صحيح من تجاريب شخصية وبراهين عمليه وابحاث فى أجسام الحيوان وفي طبقات الارض وفى طبائع الأشياء فأن النظام الجديد لم يلتفت الا ألى بعض من العيوب الثانوية فى النظام القديم فأراد أن يصلحها ولم يوفق فى اصلاحها تماما أما العلل التى كانت ولا تزال تنخر فى عظام المعاهد وتقف بظلالها عن الظهور أمام دعاة الفلسفة العصرية والمذاهب الحديثة فلا تزال على حالها ولا أول على ذلك من مضى سنين كثيرة على النظام الجديد بدون أن يخرج لنا

رجالا يمكنهم أن يقفوا بجانب القائمين بالحركة العلمية في مصرنا وكلهم ما بين مؤلفين واصحاب جرائد ومجلات من غير رجال الأزهر والمعاهد فياللخجل ويالالعار

وأذا بحثنا فيما امتاز به النظام الجديد عن القديم نجد أنه امتاز عنه بأمور تعد على أصابع اليد مع أن عيوب نظام التعليم كانت ولا تزال تفوق العدا امتاز عنه بتحديد مدة لزمن الدراسة وتعيين السن الذى لا يجوز لطالب أن يدخل المعاهد قبله ولا بعده وكان الطلاب يمكثون قبلا فى المعاهد ماشاؤا أن يمكثوا وقد يجمعون مع حرفة التعلم حرفة التجارة أو غيرها ويتهاونون فى حضور الدروس أيما تهاون لعلمهم أن زمن التعلم فسيح يتسع للعب وكثرة الانقطاع عنه فى البلد ولتلافى ذلك أيضا سن فى النظام الجديد مراقبة الطلاب فى كل درس وجعل لهم امتحان فى كل سنة ونظمت الدروس تنظيما يسهل معه مراقبة الطلاب فتجلس معا وتقوم معا وكل ذلك نتيجته واحدة وثمراته متشابهة هى حمل الطلاب على الاجتهاد فى الطلب والانقطاع ألى الدرس فيمكننا أن نعتبره أصلاحا واحدا وقد امتاز أيضا بزيادة العلوم التى لم

تكن تدرس قبلا في النظام القديم من حساب وانشاء وجبر وأشياء وتاريخ وطبيعة وهندسة وهيئة وتقويم بلدان وخواص أجسام وغير ذلك من العلوم التى تدرس فى مدارس الحكومة المصرية ما بين عالية وثانوية وابتدائية وعنها أخذنا شكل درسها ومقدار الذى يدرس منها بل أكثر تلك العلوم لا يعتنى بها عندنا مثل عناية تلك المدارس بها وماكان يصح أن نجعل مدارس الحكومة قدوتنا في درسها وهى كما يعلم الناس لا يراد منها ألا أن تخرج أنابسا يشغلون وظائفها ويقومون بخدمتها فلا يدرس فيها الا قليل مما وصل أليه علماء الغرب فى تلك العلوم ولا يليق أبدا أن نتهاون فى تعليمها كتهاون تلك المدارس فلا يخفى أن الأمة غير راضية عن التعليم فى هاته المدارس وأنها تطالب بتعليم أرقى منه يضارع التعليم فى جامعات الغرب وأنها أنشأت لذلك الجامعة المصرية التى لا تزال فى دور تكوينها فأن بلغت رشدها فقل على الازهر ومعاهدنا السلام فها هى فى مبدأ أمرها يلتف كبار الأمة حولها يحوطونها بالمال ويعضدون طلابها أعظم تعضيد فكيف يكون حالها أذا أصبحت تسع كل محب لتعليم الجامعات

العصرى في مصر لاشك ان الأمة كلها تنصرف اليها وتترك
المعاهد التى لا تقوم لها بما تحتاج أليه من رجال يحفظون
مركزها العلمى بين الشعوب وينهضون بها بين الامم والحق
أن هذا هو ما سيكون أذا لم تسبق الجامعة فى القيام بما تحتاج
ألامه اليه من ذلك فتخرج رجالا يضاهون رجال العلم
فى اوربا ويساوون من يتخرج من جامعاتها ويكونون بارعين
فى العلوم قديمها وحديثها ملمين بأصولها وفروعها محيطين
بكلياتها وجزئياتها فلاسفة فى كل ما يدسون لا مجرد رجال
يحفظون آراء الغير وينتظرون فى الشرق كل ما يجد فى الغرب
كما هو حال القائمين بالحركة العلمية عندنا اليوم فأن من
الواجب أن نعمل لنستقل فى الحركة العلمية وأن نوجد فلاسفة
فى الشرق يسابقون فلاسفة الغرب ثم أنا مع هذا لم نتناول من
العلوم الحديثة الا القشور وتركنا منها علوما كثيرة لها فعل
كبير فى حضارة الغرب وارتباط شديد بالديانات التى وجدت
التى وجدت معاهدنا للمحافظة على فرع من فروعها

ولا أدل على سوء درس هاته العلوم فى معاهدنا من أن
رؤساءنا أنفسهم لا يثقون بكفاءة من تخرجه المعاهد من

العلماء الذين تعلموها ولا يقبلونهم لتعليمها الا بعد ان يمتحنوهم فيها ثانيا بما يسمونه امتحان المسابقةوالحقيقة أنه امتحان عدم الثقه والا فلماذا يخصون تلك العلوم بهذا الامتحان وأيضا فأن مقدار الفشل الذى يصيب المتسابقين في هذا الامتحان يدل على قلة علمهم بهاوقد حصل فى العام الفائت أن أعيدالامتحان فى بعض هاته العلوم ثلاث مرات وفى كل مرة يسقط فيه كل المتسابقين

سيقول قائل هون على نفسك فالمعاهد سائرة بذاتها فى طريق الرقى وقد كانت وهى تعتقد في هاته العلوم ما تعتقد وتناوئ كل محب لها بما تناوئ والآن قد وضعت يدها فى يد المصلحين وأذعنت بفضل هاته العلوم وهذا خطوة الى الامام واسعة ونهوض الى الاصلاح كبير ويجب ان لا نظفر بها الى الغرض المطلوب طفرة بل نسير بها اليه خطوة فخطوة والا نكصت على عقبها او سارت الى فساد أشد مما كانت فيه

وما اشبه هاتيك الاقوال بقول من ينكر علينا حقيتنا للاستقلال السياسي ويزعم أنا لو نلناه الآن لعاد علينا بالوبال أو

رجع بنا الى الاستبداد والذى كنا نتوجع منه ياقوم النفوس متعطشة الى ورود مناهل العلم الصحيح ومساواة رجال العلم المصريين الذين ينظرون ألينا نظرة العالم ألى الجاهل ويعدوننا من بقايا قرون التأخر وممن لا يصح ان يكون لهم وجود فى هاته الاعصر الناهضة فلا تحجبوها عنه بتلك الاقاويل الواهية

ياقوم قد سبقنا غيرنا الى الرقى فى العلوم والمعارف بأزمنه كثيرة وخطوات واسعة فلا يصح أن نسير بعد التيقظ متثاقلين فهم لا يقفون حتى نلحقهم بل لا يزالون يسيرون ألى الأمام مسرعين فأن نحن لم نسرع اكثر منهم بعدت المسافة بيننا وبينهم وايسنا من لحاقهم ولا يعلم ماذا يكون وقت ذاك الا الله

ياقوم أما تشاهدون ماحصل للاسلام من تأخرنا اما تشاهدون العالم يتمخض كل يوم عن عقائد جديدة ومذاهب حديثة وهو اليوم يتهيأ لان يتشكل بشكل يلائمها ويعتقد العارفون ان ذلك اصبح قريبا فماذا يكون شأن الاسلام يوم ذاك أفليس من الواجب أن نسرع الى درس هاته المذاهب لنوفق بينها وبين الاسلام أن كان بينهما خلف وما أظن الا

أن الاسلام اقرب الاديان اليها لانه أول دين لا يتعارض مع حكم العقل ولا يأبى أى أصلاح يأتى من ناحيته

هذا ما اردنا ذكره قبل البدء فى الكلام على نقد هذا النظام الذي ظهر عقب صيحات المصلحين فظن الناس أنه هو طلبتهم وان ما فيه من قليل الاصلاح هو أمنيتهم فسكتت الالسنة عن اظهار عيوبه وانقطعت صيحات المصلحين بعد ارتفاعها كانهم فرحوا بالطالب يتخرج من المعاهد قد جمع معلومات تافهة من شتى العلوم ولم يدروا أن من كان يتخرج من النظام القديم خير منه لانه كان يتقن ما يدرسه من العلوم فهماً وتحصيلا وأن كان قليلا فكنت تراه بارعا فى علوم الدين محصلا لكثير من الاصول والفروع واسع الاطلاع فى علوم العربية والحفظ للاحاديث النبوية أما نحن فأنا مع قربنا عنهم قليلا من رجال العلم المصريين لم نساو هؤلاء فى علومهم ولا اولئك فى معارفهم فضعنا بين الطرفين وصرنا أضحوكة الفريقين

من كل هذا يدرك القارئ أن للنظام الجديد عيوبا مشتركة بينه وبين النظام القديم وعيوبا أخرى مختصة به أتت من سير الاصلاح فيه على غير الطريق القويم وسأتكلم اولا على العيوب

الاولى ثم اتبعها بالكلام على العيوب الاخرى

نقد الكتب الدراسية

لانزال نعتمد فى تدريس العلوم على دراسة المتون التى وضعها المتأخرون فتصرفنا عن البحث فى جواهر العلوم الى البحث فى الفاظها واستخراج مسائل العلوم من تراكيبها المعقدة. وحل رموزها والغازها الغريبة حتى اذا وصل الطالب الى حل لغز من الغازها واستنباط المسألة العلمية منه . فأن لم يكن ذلك أمنيته وقف به ماناله من الاعياء فى حله عن متابعة البحث فى مسألته ولهذا لانرى عندهم الا تفننا فى حل المتون . وعلما لا يعتد به بقضايا الفنون . يرجع عهد تلك البدعة السيئة الى عهد الشيخ ابن الحاجب او قبله بقليل ولما جاء العضد وتلاميذه من بعده زادوا الطين بلة واكثروا من تلك المتون وزاد شغف الناس بها وصارت غاية طلاب العلوم ان يفوزوا بفهمها فنشط اولئك العلماء الى وضع الشروح عليها وتسابقوا فى ذلك حتى حملوا المتون فوق طاقتها وانك لترى المتن مؤلفا من صحائف لا تزيد على الخمسين وعليه

من الشروح ما ربوا صحائفها على الالوف دع عنك الحواشي والتقارير التي جاء عهدها بعد عهد الشروح وكلها لا تعني الا بكشف معميات المتون والتحكك بألفاظها مع الغفلة عن بحث العلوم التي وضعت فيها والطالب فيما بين هاته المتون والشروح وما وضع عليها من الحواشي والتقارير كمن قذف به في وسط محيط عظيم فان كان يمكن لهذا الرجل أن يصل الى ساحل من سواحله فسيمكن للطلاب ان يصلوا من بينها الى علم بشيء من العلوم

من ذلك العهد المشئوم ومعارف المسلمين في تأخر وعلومهم في تقهقر وخصوصا العلوم العقلية منها فان الذي لا يعني في درس العلوم الا ببحث الالفاظ ولا يتعلق الا بالقشور دون اللب اذا درس علما عقليا كانت معارفه فيه أوهاما وخيالات وشكوكا وخزعبلات وكيف لمن لم يعتد درس الحقائق ان يتوصل في علم عقلي الى حقائق وهذه كتبهم في علم التوحيد لا ندري كيف توصلوا الى الاوهام التي ملأوها بها ويصعب علينا جدا نحن ابناء هذا العصر ان نتصورها فان الواحد منهم ليغرب في اوهامه اغراب

الصوفى فى اشارته ويتعمق فى عالم الخيال حتى يصل به
ذلك الى القول بالمحال

وبينا كان هذا الخلف يشوه فيما تركه لنا السلف. ويتنكب
عن الطريقة الجادة التى سلكوها فى دراسة العلوم وتأليف
الكتب كان الناهضون فى الغرب ينقلون الى أقوامهم عن
سلفنا معارفهم ويترجمون لهم كتبهم ويسيرون على منوالهم
فى العناية بجواهر العلوم ولا يهتمون الا بدرس مسائلها
فيما ألف فيها حتى وصل بهم ذلك الى درجة فى المعارف
تحسدهم عليها اليوم ووصل بنا انحرافنا عن طريق سلفنا
الى مايفرح العدو ويحزن الصديق

ليت شعرى لم لاندرس العلوم ألا فى كتب هذا الخلف
الذى جر علينا الوبال ولم نشتت فكر الطلاب فى دراسة
علم بين متن وشروح كثيرة وحواش أكثر وتقارير أكبر
فيتنقل الطالب بين الكتب نحو عشرين نقلة حتى يصل الى
مسئلة ولم لاندرس فن التوحيد فى كتب الاشعرى والغزالى
وأمثالهما ونتركها الى متون السعد وحواشى عبد الحكيم
وأضرابهما ولماذا لاندرس الفلسفة فى كتب ابن سينا وابن

رشد ونتركها الى مؤلفات السيد والعضد ولماذا ندرس البلاغة فى متن الخطيب وحواشيه. ولا نأخذها عن كتب واضعها ومحتذيه وهكذا نعمد فى كل فن الى كتب المتأخرين المشوهة . ونترك كتب المتقدمين الممتعة

بأى وجه نعد أنا انتقلنا من دور الى دور وتلك الكتب لاتزال عمدتنا فى الدراسة تلك الكتب التى الفت فى عهد تأخر المسلمين فى المعارف وفى زمن فساد لغة التأليف فلاترى فيها الا معارف واهية وأفكاراً بالية وركة فى العبارة وتعقيدا فى اللفظ وخفاء فى الدلالة ولعمرى ان نخطو الى الامام خطوة وان ننهض الى عهد جديد مادمنا نمشي على اساليب العهد القديم وياليتنا لما لم نشأ الا ان نحذو حذو النظام القديم فى الاعتماد على دراسة كتب المتأخرين انتقينا من بينها أمهات الكتب فى سائر الفنون لينتهى اليها الطالب فى الدراسة ويطلع منها على اسرار الفن ويحيط بجزئياته ولا ينتهى فى فن الفقه مثلا بكتاب المنهج وهو ليس بشئ بجانب كتب مشاهير هذا الفن وفى فن التوحيد بكتاب الطوالع ويترك كتاب المواقف او المقاصد وهكذا ننتهى فى كل فن بدراسة

كتاب لا يجاوز الطبقة الوسطى فيما وضع فيه من الكتب فيخرج الطالب غير ملم بالفن جاهلا بكتبه العالية ومباحثه المهمة

وبعد فلا نريد أن نعتمد في الدراسة على الكتب القديمة سواء كانت من وضع المتقدمين او المتأخرين فكتب المتقدمين وان خلت عن عيوب مؤلفات المتأخرين من جهة انها ظاهرة العبارة قوية الدليل لا تعنى الا ببحث ذات الفن وتحقيق مسائله ولكنها الفت لعصور غير عصرنا هذا الذى تطور فيه كل شئ من حالته القديمة الى حالة جديدة واصاب فيه العلوم وطرق التعليم والتأليف قسط كبير من ذلك التطور فكيف ندرس في كتب ابن سينا مثلا ان العناصر البسيطة أربعة وقد ظهر الآن أنها تتجاوز السبعين وان الاربعة التى كانت تعد بسيطة مركبة ومثل هذا كثير فى سائر الفنون ثم ان تلك الكتب لا يمكنك أن ترتب منها فى سائر الفنون سلسلة يعنى اولها يذكر أبسط مسائل الفن على أسلوب واضح ليدرسه أولا المبتدئ فيه ثم ينتقل منه الى ماهو اوسع حتى يصل الى النهاية، نعم قد تجد بينها كتبا أقل مسائل من

غيرها ولكن اسلوبها هو أسلوب غيرها أجمال في العبارة وخفاء في الدلالة وتعرض لمسائل تعلو على مدارك المبتدئين وها أنا اذكر لك سلسلة منها قد رتبها واضعو النظام القديم وحذا حذوهم فيها وفي غيرها واضعو النظام الجديد

اول ما يدرس في فقه الشافعي متن ابي شجاع وعليه شرح ابن قاسم العزى ولا نتعرض لاثبات ان طريقة المتن في التأليف لاتناسب الطرق الحديثة في التعليم وانما نقول ان هذا المتن قد جمع من مسائل الفقه مايقرب مما جمعه متن التحرير الذى يدرس بعده بخمس سنين ولم يترك بابا من ابواب الفقه الا تكلم عليه كان كل أبواب الفقه من السهولة بحيث تناسب المبتدئين دع عنك مايزيده عليه الشرح من فروع خفية وأبحاث لغوية ومسائل تصريفية وغير ذلك مما لا يعرفه المبتدئ ينتقل الطالب بعد هذا الى شرح الخطيب وماهو شرح الخطيب كتاب خفى الدلالة معقد العبارة مملوء بفروع ومسائل من كتاب المنهج الذى يدرس بعده بأربع سنين ثم ينتقل منه الطالب الى التحرير فالمنهج وقد كان فى الثاني غنى عن الاول ومثل هاته السلسلة غيرها فى سائر الفنون تأتي

فى كل منها بالكتاب بعد الكتاب ولم يكن واضع الاول عالما بأن الثانى سيدرس بعده ولا واضع الثانى عالما بأن الاول سيدرس قبله حتى يكيفاهما بما يلائم ذلك الترتيب فيكون الاول سلما الى الثانى ولا يعنى كل منهما بما عنى به الآخر ولا يتحد ان فى معظم مباحثهما فتكون دراسة الثانى بعد الاول عبثا وتضييعا لاوقات التعليم فى استفادة ما استفيد ان لم يكن مرة فمرتين أو مراراً

فمن الواجب أن تضع كتبا حديثة للدراسة فى كل الفنون تكون على اسلوب المؤلفات فى ايام النهضة الاسلامية فى وضوح العبارة وعدم الالتفات الى شئ سوى مسائل الفنون ولا تعنى الا بالبراهين المعقولة وندع الاوهام والخيالات التى طمست الحقائق في كتب المتأخرين وابعدت تحصيل العلوم عن الطالبين وتكون ملاءمة لمعارف هذا العصر جامعة لكل ماجد فيه من آراء جديدة وأفكار حديثة فى مختلف الفنون ولا أريد أن يؤخذ كل جديد قضية مسلمة فكم فيه من آراء سقيمة ومذاهب باطلة وانما أريد أن يعرف ليقارن بينه وبين القديم ويؤخذ بأصحهما فهكذا كان حال علمائنا

فى عصور الاسلام الزاهرة ما كانوا يقتصرون على معاوفهم بل
كانوا يجمعون اليها معارف غيرهم من الشعوب من فرس وهند
ويونان وروم فيزيدهم ذلك بصيرة بمعارفهم ويكمل الناقص منها
أن المعاهد حين تكون كتبها الدراسية على هذا النحو
تجمع ألى قوة التحقق بلاغة الأسلوب تساعدنا فى النهوض
بلغة الطلاب وتربية ملكة الأنشاء فيهم وتعويدهم على
النطق الصحيح ومادامت العناية مصروفة ألى تلك الكتب
التى تدرس الآن على ما بها من ضعف التأليف وكثرة
التعقيد وركة العبارة والبعد عن ذوق أهل البلاغة فكل
سعي فى ترقية فن الانشاء عندنا غير نافع فليوجه الساعون فى
ذلك عنايتهم ألى استبدال تلك الكتب بغيرها ثم يسمون
سعيهم فتكون النتيجة مضمونة لهم فعلوم ان كتب الدراسة
يعنى بها الطلاب ليل ونهار وكتب الأدب لا يدرسونها
الا قليلا جدا فالأولى تؤثر فى اذواقهم اكثر ولا يكون
للثانية تأثير بجانبها أذا كانت على أسلوب لا يناسبها ولهذا
نري طلاب المعاهد وآثار التكلف التى اعتادوها فى كتبهم
بادية على عباراتهم والعبارات الركيكة التى ألفوها فيها لاتفارق

كتابهم فأن ترمنها مجيدا لفن الكتابة وقل أن تراه فاخبر
علمه تره قد بلغ درجة من الضعف تناسب الدرجة التى بلغها
فى حسن الكتابة ذاك لأنه لا يبلغ تلك الدرجه فى الكتابة
الا وقد سئم عبارة تلك الكتب وبعد ذوقها عن ذوقه فيما ف
النظر فيها ولا يقوي على فهمها ثم مع ذلك بتأثير فن
الأنشاء فيهم يتربى فيهم شيئا فشيئا كره النظر فى تلك الكتب
وعدم الصبر على فهم عباراتها وكلما تقدم هذا الفن عندنا ازداد
تأثرهم به ولا يخفى مقدار الضرر الذى يعود على التعليم منه وقد
بدأ منه شيء كثير الآن لأن حال الطلاب اليوم ليس كحالهم
في اوائل النظام وقد أبثت ابن خلدون تأثير اصطلاحات
الفنون فى ذوق دراسيها وذكر عن صاحب له أنه انشد أبا
العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن مطلع قصيدة
ابن النحوى ولم ينسبها له وهو هذا

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال له على البديهة هذا شعر فقيه فقال له ومن أين
لك ذلك قال من قوله ما الفرق أذهى من عبارات الفقهاء
وليست من اساليب كلام العرب فقال له لله أبوك أنه ابن

النحوى اهم فأذا كانت اصطلاحات الفنون تؤثر فى ذوق دراسيها هذا التأثير فما بالك أذا كانت فى اسلوب ردئ وتأليف ضعيف

وكأنى بمن يقول أذا وافقناك فى وجوب أن تكون المؤلفات الدراسية للمعاهد جيدة الاسلوب لا تتعلق بالاوهام ولا تعنى ألا بماله ارتباط بالفنون الموضوعة فيها فلا نوافقك فى ترك الاعتماد على المتون فى التعليم أوتدرى ما الذى دعا المتأخرين ألى ابتداعها أنه ليس الا تسهيل تحصيل العلوم على المتعلمين وأن يبقى فى ذكرهم ما يهم ذكره من العلوم التى درسوها ينفعهم وقت الحاجة ويحفظ مراكزهم أذا جمعتهم مجالس علمية فالعلم فى الصدور لا فى السطور وقد قيل من حفظ المتون حاز الفنون فكيف تبخس فضلها فى التعليم ولها تلك المنزلة وأذا كان لا يسعنا الاستغناء عنها فلا بد أن نرجع ألى شروح تفصل مجملها وحواش تكمل ما تفوته الشروح وبحث الحواشى والشروح فى المتون يعلم الطالب كيف يفهم الكلام ويبحث المسائل وكيف يفسر كلام الله ويشرح احاديث الرسول

ماشاء الله دعنا أيها السائل من التزويقات اللفظية وابحث معي في النتيجة التي تحصلنا عليها من بدعة المتأخرين ومن يوم أن وقف العلماء مجهوداتهم على خدمة المتون وصرفوا نظرهم عن خدمة العلوم في ذاتها هل تحصلنا من يومها على علماء في الفقة يضاهون أباحنيفةوأخوانهأومفسرين لكتاب الله كالزمخشري والرازي أو علماء في الكلام كالأشعري والغزالي او نحويين كسيبويه والخليل هل وجدت مؤلفا في الأدب يضاهي كامل المبرد وأمالي أبي علي هل وجدت كتابا نفيسا يضاهي مؤلفات ابن سينا والفارابي وابن رشد وابن حزم كلا لم نجد من ذلك العهد المشئوم عالما كعلمائهم ولا مؤلفا نفيسا كمؤلفاتهم فماهو السبب في ذلك يا ترى هل السبب ما هو شائع بيننا اليوم من قصور عقولنا عن عقول المتقدمين وهو شئ لم ينزل به كتاب ولم يخبر به رسول وكم من متأخر فاق على متقدم ولا حق أتى بمالم يستطعه سابق قال ابو العلاء المعري

وأني وأن كنت الأخير زمانه لآت بمالم تستطعه الأوائل

وكيف نشك في ذلك وهذه أوربا ومعارفها وتفوقها

فيها على السابقين تفوقا مدهشا ولعمرى ما السبب الا تلك البدعة التى ابتدعها المتأخرون فى التعليم بدعة الاعتماد فيه على المتون فقيدوا بها المؤلفين والمعلمين وجعلوا همهم أن يخدموها بمؤلفاتهم ونظر اليها المتعلمون نظر مايقصد لذاته فجعلوا همهم من التعليم أن يتفهموا ألفاظها ويحصلوا مسائلها فضاع الاعتناء بجواهر العلوم وحل محله الإعتناء بالفاظ المتون وكان هذا مدعاة لضياع العلوم وانحطاط المتأخرين عن المتقدمين

لا بأس أن توضع مختصرات للكتب الدراسية يرجع اليها الطلاب بعد الفراغ من دراستها ويحفظونها أن شاؤا فتغنينا عن المتون وفائدتها في تسهيل تحصيل العلوم وبجانبها أضرار جمة وخطوب جسيمة فالمختصرات تقوم مقامها بل الطلاب لا يستغنون عنها اليوم وأن حفظوا المتون لأنها منها أجمع والأخذ منها أسهل فالمتون توضع ليكون عليها شروح وحواش فتجمل لتفصل وتفوت لتكمل وليس كذلك المختصرات فلا تجمل ولا تبهم ولا تفوت على الطلاب اى شئ يهم

نقد طريقة الدراسة

لقد تبع انكباب المتأخرين على وضع المتون والعناية بشرح ألفاظها ووضع حواش عليها انحراف طريقة الدراسة عما كانت عليه عند المتقدمين فصار المدرسون لا يعنون الا بدراسة المتون وشرحها للطلاب فلا يهمهم الا التحكك بألفاظها وحل معقداتها ولا تفوتهم جملة حتى يقلبونها على سائر العلوم فيعربونها ويصرفونها تارة وطورا يبينون مافيها من مجاز واستعارة فأن لم يكن فيها شيء من ذلك لم يفتهم أن يقولوا لم عبر بهذا وكان الأولى أن يعبر بذاك أو كان الأولى حذف هذا أو زيادة ذلك وبعد هذا وذاك ينتقلون ألى الشروح فيبحثونها هذا البحث ثم ينظرون كيف فهمت ألفاظ المتون وعلى أي وجه أخذت المعنى منها وهل اصابت في ذلك أم أخطأت فأن كان هناك حواش أعادوا عليها الكرة وزادوها أبحاثا لم بها أدرى كل هذا كان يصنع في النظام القديم ولم ينقص عنه شيئا فيه نظامنا الجديد غير أن ضيق الوقت فيه قد يجعل المدرسين يتساهلون قليلا في تلك التدقيقات كما

يسمونها فيحبسون عن الطلاب بعضا منها ناقمين على النظام وواضعيه آسفين على فوات مافات مترحمين على الايام التى كانت تمكنهم من أبداء كل ما عندهم وسيظل الحال على هذا مادمنا لا نعنى الا بدراسة المتون ولا نعنى بدراسة العلوم فى ذاتها ولا نجد فى طرق التعليم من تقويم وتحسين حتى صار للبحث فيما يلزم تبحث فيها فن مخصوص وألفت فيها كتب كثيرة تبحث عما يحسن اتباعه فى دراسة كل علم وعما يلزم مراعاته مع الطلاب فى أدوار التعليم فلا يسلك مع الناشئين مايسلك مع الذين قطعوا أشواطا فى التعليم ونحن نمشى على وتيرة واحدة فى مختلف العلوم ونسلك طريقا واحدا مع جميع الطلاب وما أشقى الناشئين عندنا بكتبهم التى قد تكون أخفى عليهم من الكتب التى تدرس بعدها وبنظام التعليم الذي يسلك معهم كما يسلك مع من بعدهم وماوراء ذلك ألا تضييع قواهم العقلية فى بدئها وقتل ملكاتهم فى مهدها بعدم سلوك ما يناسبها فى التعليم وتحميلها منه مالا يطاق

لم يكن المتقدمون يعتمدون مثلنا فى التعليم على دراسة متن او كتاب وانما كان الواحد منهم يحضر درسه قبل القائه

ثم يأتي الى حلقة الدرس وليس يعنيه سوي تحقيق المسائل التي حضرها فيسترسل في بحثها ماشاء لا يقيده كتاب ولا نزاحمه في تحقيقها العناية باستخراجها من متن وهذه دروس الحسن البصري التي كان يحضرها كثير من فطاحل أهل السنة وفحول المنزلة مثل عطاء بن واصل وأقرانه وكذا دروس الغزالي التي كان يلقيها في المدرسة النظامية فهل في امكان واحد أن يخبرنا هل كانو يعتمدون فيها على الكتب مثلنا كلاما كان يرضى لنفسه عالم من المتقدمين ان يقيد نفسه بكتاب في التعليم بل كان شكل التعليم عندهم على مثال المحاضرات التي تلقى بها دروس الجامعة المصرية وسائر الجامعات الغربية والشرقية ومنهم من كان على درسه على الطلاب أملاء وعلى هذا الاسلوب وضعت كتب كثيرة من كتب المتقدمين كأمالي المرتضى وأمالي أبي علي القالي وبسلوكهم هذه الطريقة التي لا يعنى فيها الا بتحقيق العلوم في ذاتها كانت معارفهم كل يوم في ازدياد وعلماؤهم كل عصر في تحسن وفلاسفتهم كل زمن في تقدم وكنت ترى الفن يوضع وليدا في يوم فلا تمر أيام حتى تراه قد كبر ونما ووضعت فيه المؤلفات الفخمة ولقد ظل الحال على هذا

المنوال الى حوالى القرن السابع للهجرة هنالك قام نذير السوء منادياً يا أيها الخلف أريحوا أنفسكم من عناء التوسع فى العلوم وابتكار المعارف وفيما وضعه لكم السلف كفايه فقفوا عنده ولا تتجاوزوا حده وليس فى الامكان ابدع مما كان وما كان أشد اصغاء القوم اليه وتأثرهم بكلامه فعكفوا على مؤلفات المتقدمين هذا يختصر وذاك يشرح وذلك يضع الحواشى وهذا قد شغف بدراستها وذاك رأى أن يقتصر على دراسة مختصراتها وعلى توالى الايام كرهوا الاصول وتعلقوا بالفروع وعافوا النظر فى كتب المتقدمين وأعقب ذلك سقوط الحركة العلمية من شامخ مجدها وتنقلها من سيئ الى أسوأ الى يومنا هذا وكان نصيب حركة التأليف من ذلك أكثر فأنه سهل على كل مريد لما انتقل من دور الاختراع ألى دور التقليد وهذه مؤلفات المتأخرين على كثرتها كلها تضرب على نغمة واحدة فى مختلف العلوم يعمد الواحد منهم الى مؤلف غيره فينقل أكثره بلفظه وينسبه لنفسه ثم يأتى الثانى والثالث فيصنع صنيع الاول وهكذا حتى كثرت المؤلفات بغير فائدة

ولقد أشرت سابقاً بوضع مؤلفات للمعاهد تلائم روح هذا العصر ولست أريد ان تدرس كما تدرس الكتب القديمة الآن فنقرأ ألفاظها على الطلاب ونشرحها لهم فأنا لو فعلنا ذلك فسيعود بنا الى صرف العناية في تفهيم الفاظها والاهتمام بالمناقشات اللفظية فيها ونقع فيما نحاول الفرار منه وأنما اريد من وجودها بين الطلبة ان تكون موضوعاتها نقطة يتلاقى فيها الطلبة والمدرسون عند حضور الدرس فيحضر الاستاذ درسه منها ويضيف اليها من معلوماته وتدقيقاته التي تتعلق بمسائل الفن دون عباراتها ثم يأتي الى الطلبة بعد ان يكونوا قد استعدوا للدروس بمطالعتها فيها فيلقيها عليهم بشكل المحاضرات التي كانت تلقى بها دروس المتقدمين وتلقى بها الدروس الآن في جامعات الغرب وفائدة تحضير الطلاب للدروس في الكتب لا تنكر فأنهم يستعدون به لدروس الاستاذ قبل حضورها فلا يفاجؤن بغريب ويسهل عليهم فهمها منه ولا يكلفونه عناء التفهيم بعد عنائه في التحضير وايضاً فأن الطلاب بمطالعتهم الدرس قبل حضوره يمكنهم ان يعرفوا منه مواضع النقد فيمكنهم ان يناقشوا الاستاذ فيها عند

مروره بها وبدون ذلك يغلب ان تفوت عليهم عند حضور الدرس لاشتغالهم بالسماع من الاستاذ وعدم وجود فترة يفكرون فيها ولا يخاف القارئ ان تجر مطالعة الطلاب لتلك الكتب الى العناية بألفاظها وأن تصير الى الشكل السيء الذى هم عليه الآن فى مطالعاتهم فأن ذلك يخاف منه لو يعود الامر الى الدراسة فى الكتب أو يسمح للطلاب بمناقشة الاستاذ فى لفظ كتاب فسيطرح الطلاب هذه المناقشات اللفظية ولا يعنون فى مطالعاتهم الا بفحص المسائل العلمية وسبق الطالب استاذه بمطالعة الدرس على هذا الشكل مفيدا جدا يعوده الاعتماد على نفسه فى الفهم والاستقلال بها فى البحث وينفعه فى المستقبل أذ ينتهى من الطلب ولا يجد الا نفسه لمطالعة الكتب

واذا سوغنا المعلم ان يسلك مع غير الناشئين أى طريقة يراها موافقة فى التعليم وان يتوسع فى البحث والتحقيق ويكثر من سرد الادلة وأيراد الشواهد فلا نسيغ له أن يسلك فى تعليم الناشئين غير طريقة الاستنتاج باستخراج القواعد من الامثلة والشواهد بدون ان يوردهم اعتراضا

أو يوقعهم في مشكل وأهم من هذا أن لا نبيح لهم وهم لم يقووا على فهم الكتب ان يطالعوا الدرس قبل حضوره بل نملي عليهم مقرراتهم درساً درساً ولا نجعل في ايديهم من بدء السنة كتابا متناً اوشرحاولا يزال أساتذتنا كما كانوا قديماً يقدرون لصغار الطلاب دروس الغد ليطالعوها كما يفعلون ذلك مع كبارهم و كان الواجب ان لا نبيح لهم ذلك سنة أوسنتين حتى تعلمهم طريق فهم الكتب ولا ندعهم لانفسهم ينظرون فيها ولم تتفتح أنظارهم فنضر بعقولهم وتبلد اذهانهم وتنفر من العلم نفوسهم بتحميلها مالا تطيقه وقد لا يهتدي الناشيء من نفسه الى الطريقة المثلى في مطالعة الكتب ويسلك طرقا أخرى عقيمة يشب عليها ويصعب علينا تحويله عنها وأثر ذلك ظاهر في جميع الطلاب الا قليلا منهم فانك ترى اكثرهم يطالع الكتاب من أوله الى آخره ولا يعرض له فيه رأي لانه يأخذ قضاياه مسلمة ولا يعرف ان يطالعه مطالعة ناقد وأن ينظر فيه ليعرف غثه من ثمينه ولم يجر ذلك عليه الا أخذه بالمطالعة قبل ان يعرف نقد الكلام اوبزن الآراء والافهام و الا تركناله في صغره يطالع ليفهم وقد لا يفهم .

فشب على ترك التفكير ولم تترب فيه ملكة النقد

عدم تهذيب العلوم

نعني بذلك سكوتنا عن أن نضيف ألى كل علم ما جد فيه من المعارف وأن نعرض مسائله على القوانين العلمية التي جدت في هذا العصر لنعرف منها ماظهر فساده مما لا يزال على صحته وأن نحذف من كل فن الدخيل فيه ونرتبه ترتيبا يلائم الذوق الحاضر ولا ينافيه وسأضع أن شاء الله جزء آخر في هذا الكتاب لبيان مايجب في كل علم علم من هاته النواحي حتى تصبح علومنا وقد دب فيها روح العصر الحاضر وسرت في أعصابها الحياة الجديدة

ومعلوم أن العلوم الموجودة الآن لم تنزل بشكلها الحاضر مع آدم أبي ألبشر وأنما اهتدى اليها الانسان بعده علما فعلما ويشهد التاريخ أن كل علم لم يكن في اول امره على الشكل الذي وصل اليه أخيرا بل كان أول من يتكلم في علم يهتدي ألى مسائل منه ثم لا يزال على توالى العصور تعمل فيه يد التوسيع والتهذيب ونجد فيه من المعارف مايتفق مع

رقى البشر فى معارفهم وأذا كان بعض العلوم قد وصل ألى الحد المقدر له فلا نزال اكثرها قابلا للتوسيع والتمحيص ويشهد الله أنه قد مضى اكثر من سبعة قرون ونحن وقوف عند حد معلوم فيما ندرسه من العلوم وفيما نضعه من المؤلفات ولا زلنا نتغنى بأقوال السعد وعبد الحكيم ونضرب على نغمات السيد وعضد الدين هذا فى العلوم الشرعية والعربية .
اما علوم الفلسفة فلا نزال نعول فيها على آراء علماء اليونان فيما قبل المسيحية والأسلام ولهذا أصبحت معارفنا فى جميع العلوم لا تتلاءم مع العصر الحاضر وأصبحت علومنا تحتاج ألى عمل كثير من جهة التهذيب والتغيير ولقد أضر بالدين وقوفنا بعلومه عند هذا الحد اذ تسبب عنه أعراض الحكومات الاسلامية عنها وكانت الطامة الكبرى أعراضها عن الاحكام الشرعية الى أحكام القوانين الوضعية ولم يكن منالها الا اللوم والتقريع ونحن رجال الدين احق بذلك منها لأنها خاضعة فيما صارت اليه لحكم الظروف وتجدد العصور وتغير العادات ونحن الذين لم نعر لذلك أقل اهتمام فهذا علم الفقة أليس كبار العلماء متفقين فيه على أن ما يتعلق من احكامه

بالعبارات هو الذى لا يتبدل بحال أماما يتعلق بالسياسة والأدارة (قسم المعاملات)فيتبدل تبعا للظروف والاحوال قال أبو عقيل للحكومة أن توسع مجال نظرها السياسى فيما ليس منصوصا عليه وقال القرافى من الخطأ الحكم بالقواعد المؤسسة على العادات التى كانت قديمة ثم تركها الناس أذ كل حكم مبنى على العادات يتغير بتغيرها وقال بعض علماء الاسلام حيثما وجدت طرق توصل الى الحق فهنا لك حكم الله سواءكان مصدر ذلك نصوص الشرع أو معارف البشر

وأذا كان على دارس علم الكلام ان يدرس قبله علوم الطبيعة ليعرف طبائع الأجسام علويها وسفليها ويبحث عن أحوالها وخواصها لابتناء كثير من مسائله عليها ولأن قوانين الطبيعة تفيدنا كثيرا فى تمحيص براهين ذلك العلم ومعرفة ما يقبل منها وما لا يقبل فأنه يحتاج الآن ألى كثير من التهذيب بمقدار ما حصل فى تلك العلوم من التغيير وانقلاب شكلها ألى شكل لم تكن عليه وظهور فساد كثير من مسائلها التى كانت تعد حقائق ثابتة لدى الناظرين فى علم الكلام ويبنون عليها ما يبنون من قضايا وأحكام

فهذان علمان من اهم العلوم الدينية قد رأيت ما يلزمهما من جهة التهذيب وستعلم أن غيرهما من العلوم مثلهما فى ذلك وكل آت قريب ومما هو جدير بالنظر ذلك التطور العظيم الذى طرأ على العلوم فجعلها بعيدة المنال لا تستقل بأفادتها الكتب ولا يفيد فيها النظر البحت ومن يعرف أن كثيرا من مشاهير الفلاسفة السابقين وصل ألى ما وصل اليه بمطالعة الكتب بنفسه وبدون ان يجلس أمام استاذ يبصر انه لا يتأتى لأ نسان الآن ان يبرع فى علم من العلوم بدون ان يسترشد فيه بمرشد ويأخذه عن البارعين فيه يدرك الحالة التى تطورت اليها العلوم تماما فأنها كانت مؤسسه قديما على استعمال البراهين النظرية البحثة التى يسهل تناولها على كل طالب اما الآن فلم يعد يقيل فى درس مسائل العلم الا براهين البحث والاستقراء وأضبحت غرف الدراسة معامل تطبق عليها مسائل العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية وقد تغير بذلك شكل النظر في العلوم بالمرة وأصبح بعيدا عن الخرافات والأوهام بعدم الاعتماد فيه على مجرد النظر فى الكتب ولم يقتصروا فى ذلك علي ما تقدم من العلوم بل تعدوها الى العلوم التى تبحث

فيما وراء المادة فلا تقبل مسائلها الآن الا بعد أن تمحص بالطرق العلمية الحديثة وبذلك لم يعد للفلسفة النظرية البحتة اعتبار حتى في علومها بل حل العلم محلها واحتل منها دارها بعد أن كانت المهيمنة على جميع العلوم لها

عدم التدرج فى التعليم

ان التدرج في التعليم بمراعاة حال الطلاب ودرجة قواهم العقليـة من أهم ما يعتنى به ولا يأتى التعليم بثمرة نافعة ما لم يتدرج فيه بحسب تدرج قوة الادراك فى الطالب بأن نزيد له فيه كلما زادت تحسنا ونموا ونعطيه في صغره من العلوم أسهلها ومن زمن التعليم أقله ثم نترقى له فيهما كلما كبر عقله وتربت قواه ولا تطفر به ألى درجة فى التعليم قبل ان يقوى عليها عقله مهما كان ذكاؤه وفهمه فأن أجهاد العقل يضعفه ويوقفه عن النمو المقدر له تبعا لنمو الجسم فأذا اجهدنا الطالب وهو صغير أضعفنا عقله وأضعنا من قواه فى صغره ما تشتد اليه حاجته في كبره يوم نزج به في صعاب العلوم ومعميات الفنون فيردها ولم يبق له من مواهب عقله ألا القليل الذى لا يكفى

لدرسها ويندم على الكثير الذى ضيعه فيما كان القليل ينفع فيه وهذا هو السر في أن نرى الطلاب وخصوصا الأذكياء منهم تتبلد اذهانهم بقدر ما يمضى عليهم من الزمن فى التعليم وتنطفئ شعلة ذكائهم فى الكبر بعد ان كانت متوقدة في الصغر مع أن التعليم لا يقصد منه الا تربية أدراك الطلاب وتنمية ذكاء الأذكياء وما استعمال العقل فى التعليم الا كاستعمال السكين فى القطع يزيدها حدة ويذهب عنها الصدأ الذى ينالها من ترك استعمالها فأن افرطنا فى استعمالها تثلمت عاجلا وأسرع اليها البلى فمن الواجب أن نقتر فى صرف مواهب الطلاب العقلية فى اول أدوار التعليم ونحفظ منها أعظم مقدار للدور الأخير ينفع الطالب يوم يزج به فى العلوم العالية ويكون اعتماده على عقله اكثر واستقلاله بنفسه اوجب

أن التدريج فى التعليم يكون فى أمور كثيرة لها ارتباط بالتعليم يكون فى طريقة الدراسة وفى الكتب التى تعطى للطلاب وفى عدد الدروس التى تعطي لهم كل يوم وفى مقدار الزمن الذى تلقى فيه الدروس وفى العلوم التى يدرسها الطلاب

وفى كل علم بالنسبة لما يدرس منه أولا وثانياو ثالثاوقدعرفت
انا نسلك طريقة فى التعليم لا تصلح لصغار الطلاب ولا لكبارهم
ولا نفرق فيها بين المبتدئين وغيرهم فنزج بالصغار فى فهم
العبارات المغلقة واستخراج المعانى من الالفاظ المجملة وتكلفهم
فهم التعاريف المنطقية ومعرفة مواقع قيودها أدخالا واخراجا
وندعوهم لاستعمال البراهين وترتيب المقدمات واستخراج
النتائج كل ذلك تكلفهم به قبل أن تتربى فيهم قوة الفكر التى
تمكنهم من القيام به فيضطرون تحت ضغطنا عليهم الى
استعمال قوة الحفظ فيه مادمنا نكلفهم بما ليس لفهمهم سبيل
اليه . وتظل تلك عادتهم حتى يقطعوا شوطا كبيرا فى التعليم
يتعبون فيه بدون فائدة اللهم الا تطويل زمن التعليم بتضييع
ذلك منه فيما لا يعود عليهم بنفع ومثل هذا ان صح انه يربى
فى الطلاب قوة التهم والتعقل فلا شك أنه لا يفيدهم الا فهما
سقيما وعقلا قاصرا واحرى بأن يقتل العقل في مهده ويميت
فى الطلاب قوة الفهم ولا ينميها وقد عرفت ما يجب ان يسلك
فى تعليم المبتدئين فى الكلام على نقد طريقة التعليم

وكذلك عرفت ان الكتب الدراسية الموجودة الآن

لا يمكن ان يرتب منها سلسلة فى علم من العلوم يترقى فيها المبتدؤن تبعا النمو عقلهم وترقى أذهانهم وان الكتب التى تعطى للمبتدئين لا تخلو عن كثير من المواضع التى تصعب على من بعدهم فضلا عنهم بل يوجد كتب كثيرة الآن فى سلاسل بعض العلوم أخفى من التى بعدها عبارة وأغمض اسلوبا ويظهر ان جل اعتماد المتقدمين فى ترتيب تلك السلاسل كان يدور حول حجم الكتب فما كان حجمه أقل وضع فى أول السلسلة ثم يأتى الذي يليه فى الحجم وهكذا أما ترتيبها من جهة السهولة والصعوبة فلم يكن عندهم كبير اهتمام به ولو انهم حاولوا ذلك لوقف بهم العجز عن ترتيبها أذ ليس بين تلك الكتب من هاته الجهة تفاوت كبير

وكذلك أهملنا قديما وحديثا التدريج فى القدر الذى يعطى من كل علم ولم نجعل فى كل علم مراتب تكون كل مرتبة أسهل من التى بعدها بأن ينتقى للمرتبة الاولى اسهل مسائل العلوم وللثانية المسائل التى تكون اصعب منها شيئا وهكذا ثم لا نتجاوز بالطلاب مرتبة هم فيها الى ما بعدها ونحن الان أما ان نطفر بالطلاب فى بعض العلوم الى ارقى كتاب فيها

فيدرسونه مرة وبه ينتهون منها واما أن نسلك بهم طريق الترقى في البعض الاخر ولكننا نتدرج فى دراستها من كتاب صغير الى كتاب أكبر منه حجما وأن كان الاول اصعب منه مسائل وادق فهما فلا نحن فى العلوم الاولى أعطيناها حقها من التدرج ولا نحن فى الثانية سرنا فيها على الترقى المطلوب وكيف نصل الى هذا التدرج الذى وصفناه فى الكتب التى ندرسها الان ولم يكن غرض كل مؤلف من كتابه الاان يضعه لمطلق الانتفاع به فيدرس مستقلا عن غيره او ينتفع الناس بمطالعته كالم يكن همه الاان يجمع فى مؤلفه مايحلوله من المسائل ومايعن له من التحقيقات فتراه يجمع السهل مع الصعب وأقل المسائل قدرا مع اعلاها شأنا فلا هو يدنو فى كل مسائله الى المبتدئين ولا هو يعلو فى جميعها الى المنتهين فلابد ان نترك هذه الكتب جملة ونضع كتبا غيرها نجد فيها بغيتنا من هذا التدرج وذاك الترقى ونساوى بين العلوم فيها فأن التدريج فى كل علم محمود لانه يزيد الطلاب تثبتا ويمكنهم من تدارك مايفوتهم من الابحاث وتحقيق مايتجدد عندهم من الاراء

ثم يجب ان نترك تلك المادة الذميمة الا وهى التنافس

في تكثير تحصيل الطلاب التي تجعلنا نتجاوز المرتبة التي هم فيها الى مابعدها ونعطيهم منها قبل ان ينضجوا لها ولقد شاهدت ملخصات في الفقه وضعها بعض الاساتذة لطلاب في السنة الأولى وفيها تفاصيل المتحيرة والجبيرة وغير ذلك مما لا يمكنهم فهمه وشاهدت ملخصات في النحو ايضا على تلك الشاكلة ولا ادري لماذا يسرنا من مثل طلاب السنة الاولى ان يكثر تحصيلهم وتتزايد محفوظاتهم ونفخر بالطالب في مثل تلك السنة يكون اكثر تحصيلا ممن بعده وان نسأله عما ليس عليه فيجيب بما حفظه استاذه وان كان لا يعقله وما وراء ذلك الا اماتة فهم الطالب وتعويده الاعتماد على الحفظ وعدم الالتفات الى الفهم وما كان احرانا ان نلوم انفسنا بدل ان نلوم الطلاب اذا جاوزوا السنين التي كنا نسر منهم فيها بسعة المحصول وكثرة المحفوظ اذ نرميهم بسوء الفهم وقلة التعقل والاعتماد على الحفظ ونجاوز ذلك الى ذم النظام وواضعيه وننسب له تلك السيئة والله يعلم ممن هي آتية

والى ماذكرنا من وجوب التدرج في القدر الذي يعطى من كل علم على ما وصفنا يشير شيخ المؤرخين العلامة ابن خلدون

فيقول ان تلقين العلوم أنما يكون مفيداً أذا كان على التدريج بأن يلقى على المتعلمين أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب لهم في شرحها على سبيل الاجمال مراعى في ذلك درجة استعدادهم لفهم ما يرد عليهم فأذا انتهوا منها حصلت لهم ملكة في ذلك العلم الا أنها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأتهم لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع بهم الى الفن ثانية فيرتفع بهم في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها فيستوفى الشرح ويذكر ما هنا لك من خلاف الى أن ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكتهم فيه عن اول مرة ثم يرجع بهم ثالثة وقد شذوا فلا يترك مهما ولا عويصا الا وضحه وفتح لهم مقفله فيخلصوا من الفن وقد استولوا على ملكته بتكرير دراسته ثلاث مرات وذلك لعمرى غاية ما يصل أليه باحث في هذا الموضوع غير انا لا نوافقه في أمرين لا لشيء سوي ما صارت اليه حالة التعليم في عصرنا واتساع دائرة العلوم أمام الطالب فأن لم نقتصد في زمن تلقين كل علم فاته زمن التعليم ولم يصل الى منتصفها وأول الامرين انه لا يلزم في الدور الاول استيعاب أبواب الفنون وأخذ اصول

مسائل كل باب فأن الغرض منه تهيئة الطالب لفهم الفن وذلك يحصل بأقل قدر ممكن والثانى أن الدور الثانى لا يلزم لطلاب القسم الثاني والعالى فيستحسن ان يتوسع لهم التوسع الذى نفعله فى ثالث مرة عقب المرة الاولى لأن مثلهم يمكنه تناول ذلك عقبها بدون أن يعيد الاستعداد ثانية له نعم اذا كان العلم مما تشتد أليه الحاجة ولم يكن من العلوم التى يتخصص الطلاب لها فى القسم العالى كعلم النحو والصرف وشبههما فلا بأس ان يأخذ الادوار الثلاثة حتى تثبت مسائله لدى الطلاب ويرسخ فى اذهانهم منه ما تشتد حاجتهم اليه

ولا ينقص عن ضرر عدم التدريج فيما قدمنا ضرر عدم التدرج فى عدد الدروس التى تعطى للطلاب كل يوم ومقدار الزمن الذى تلقى فيه فأي مبرر لأن نسوى فيها بين صغار الطلاب وكبارهم وأن نحبس المبتدئين فى الدروس بقدر ما نحبس المنتهين وقد تغالى النظام الجديد كما كان يتغالى القديم فى مقدار زمن الدروس اليومية بجعله لبعضها ساعة وثلاثة أرباع ساعة وقد يصل به بعض المدرسين الى اكثر من ساعتين وجعله للبعض الآخر ساعة ونصفا والدرس أذا زاد

على ساعة بعث الملل فى نفس الطلاب فتضيق اذهانهم فى نهايته عن الفهم وتعيى وتمرض من كثرة العمل والتعب واذا قلنا ان العلوم التى يدرسها من بعد المبتدئين صعبة وكان لنا من انفتاح أذهانهم ما يبرر ان نحبسهم فى الدرس هذا الزمن مع انا لو تركنا التحككات اللفظية ولم نتقيد بدراستها فى تلك الكتب المعقدة لكفانا فى الدرس أقل من ساعة أذا قلنا هذا فماذا نقول لتبرير ذلك مع المبتدئين وعلومهم سهلة يكفى لدروسها القليل من الزمن وأذهانهم ضيقة لا تتسع فى الجلسة الا لأقل ما يمكن من المسائل

وقد تبع زيادة عدد الدروس اليومية للمبتدئين كثرة العلوم التى يدرسونها فبعد أن كان الطالب فى النظام القديم لا يشتغل فى أول حضوره بالمعاهد الا بالفقه والنحو أصبح طالب السنة الاولى يدرس من العلوم مقدار ما يدرسه المنتهون يدرس الفقه والنحو والتوحيد والاخلاق والتجويد والمطالعة والسيرة والخط والاملاء علوم وان كانت سهلة لكن كثرتها تشتت اذهانهم ولا تقوى على الاحاطة بها عقولهم وكانت سنة التدرج تقضى ان يدرس مثلهم من العلوم ماتتسع له اذهانهم

ثلاثة أو اربعة ثم يزادون منها على مر السنين وكلما اتسعت عقولهم بالتعليم

لهذا أقترح ان يكون زمن الدرس في اوائل القسم الاول بالمعاهد ثلاثة ارباع ساعة وفى أواخره ساعة وان يكون مقداره فى القسم الثانى ساعه اوساعة وربعا من اوله الى آخره وفى القسم العالى ساعة ونصفا اوساعتين واما عدد الدروس فتكون فى أوائل القسم الاول ثلاثة وفى أواخره أربعه او خمسة وفى القسم الثانى خمسة من اوله الى آخره وفى القسم العالى اثنتين أو ثلاثة على حسب ما يتخصص فيه الطلاب من العلوم وبهذا يخف ذلك العبء الثقيل على الطلاب ويجدون وقتاً يقضونه فى رياضة أجسامهم وتنوير أفكارهم بمطالعة ما لايدرسونه فى معاهدهم

فانه من اللازم للطلاب أن يجدوا وقتاً يحركون فيه أنظارهم فى فلسفة الكون ومباحث الاجتماع وكتب الادب ويوسعون معارفهم بمطالعة المجلات العلمية وقراءة الصحف السياسية ليقفوا على كنه الحركة العلميه فى عصرهم ويطلعوا على مرامى سياسة الدول فى أيامهم فيكون منهم العالم الواسع

الاطلاع والواقف على أسرار العالم

أتحسب أيها القارئ الكريم أن اشتغال الطالب بذلك دون اشتغاله بمطالعة الكتب الدراسية فائدة لا والذى رفع السموات وبسط الارض ان الفائدة التى تعود على الطلاب من اشتغالهم بالكتب الدراسية قاصرة والثمرة التى ينالونها من المعاهد مقدرة بالمدة التى يمكثونها فيها أما مايعود عليهم من اشتغالهم بما لا يحصى من الكتب الباحثة فى فلسفة الكون ودقائق الاجتماع وعلوم الادب ففيه توسيع أفكارهم لا الى حد محدود وتكثير تحصيلهم لا الى نهاية معلومة والطلاب الذين يقصرون أنفسهم على الاشتغال بالكتب الدراسية ويجعلون الاستاذ طريقهم الوحيد الى المعارف هم بلا شك دون من يجمع بين الطريقين ويستفيد بمجهود نفسه كما يستفيد من أستاذه ويمتع نفسه بما لا تتسع له مدة الدراسة المحدودة من المعارف التى لا تحد والمسائل التى لا تحصى

ان الطالب الذى لا يقف عندما حدله ويبحث لنفسه عن معارف وراء مايستفيده من الدرس يكون حر الفكر غير جامد على آراء الغير ولو كانت باطلة ولا متشيع لطوائف

مخصوصة يدين بباطلها دينه بحقها وتلك مصيبة طلاب العلم عندنا من نحو سبعة قرون الى اليوم فهم بتعودهم على ان يأخذوا كل معارفهم عن الغير يكونون أسراء التقليد غير مبالين الى التوسع في العلوم وكثرة التفتيش في الكتب وبهذا وقفت علومنا عند حد محدود ولم تتقدم عنه بل لا تزال تتراجع عنه الى الآن ولا شك ان الطالب الذي يعود نفسه على التفتيش في الكتب ولا يقصرها على الكتب الدراسية لا يتكاسل اذا انتهى من المعاهد عن متابعة الدرس ومداومة المطالعة في الكتب فيكون علمه كل يوم في ازدياد ومعارفه كل وقت في اتساع ولا تغره شهادة نالها ولا تسأم نفسه من مطالعة مالم يعتد مطالعته ولا يكون مثلنا اليوم نركن الى الراحة ونكره الاستفادة بعد أخذنا الشهادة فان تاقت نفسنا يوما للمطالعة قضينا لبانتها بإعادة النظر في كتاب مما درسناه وبمثل هذا حرمنا أنفسنا من الاطلاع على اسرار العلوم وشتى المعارف بعد الفراغ من أيام الطلب وليس العلم الا بعدها والنبوغ الا بمداومة الدرس أثرها وهل يصح لنا ان نقف في في طلب العلم عند اخذ الشهادة وقد قال النبي صلعم واطلب

اطلب العلم من المهد الى اللحد وقال أيضاً اذا مضى يوم لا استفيد فيه علما فلا بورك فى ذلك اليوم

بقى أن نتكلم على وجوب التدريج في دراسة العلوم بالبدء بالعلم السهل منها قبل الصعب فمن الخطأ أن نقدم للطلاب دراسة علم صعب علي اسهل منه ولولا عبارات أخرى ككون الاول أهم أو كون الحاجة اليه اكثر أو غير ذلك من الاعتبارات التى لا توازى اعتبار سهولة العلوم وصعوبتها فى ترتيب دراستها فاجمل التعليم الا التربية قوى الادراك فى الطلاب و تنمية استعداداتهم العقلية وذلك لا يكون الا باستعمالها فى بادئ الامر فى المعلومات القريبة منها السهلة عليها والترقى فيها بعد ذلك شيئاً فشيئاً فان اتينا لها فى البدء أو فى أى مرتبة من المراتب بما ليس فى استعدادها صعب عليها فهمه وصعب علينا ان نفتقها به وضيعنا زمناً كبيرا فى محاولة أدخاله فيها بدون فائدة أضف الى ذلك ان انتظارنا بالعلوم الى الزمن الذى تتهيأ فيه عقول الطلاب لها يوفر علينا زمنا كثيرا فى تعلمها فمن العلوم ما تمكث فى دراسته الان ثمان سنين أو عشرا ولو انتظرنا بها الى ان يكمل الطلاب لها الكفاءة فى دراستها سنتان أو ثلاث

ويكون درسهم لها فى هذا الزمن القليل ادق وتحصيلهم لها فيه اتم ولو سلكنا هذا السبيل لوفرنا أزمنة كثيرة نحن فى حاجة اليها الدراسة مالم تتسع له مدة الدراسة من العلوم الحديثة ولم نضيعها فى تعليم الطلاب مالا يفهمون فهذا علم النحو ابينا الان نجارى النظام القديم فى البدء به فى التعليم وان نعطى الطلاب منه قدراً قليلاً فى السنة الاولى نعيده لهم ثلاث مرات أو اكثر ولا ابالغ اذا قلت ان الطلاب مع ذلك لا يفهمونه وانما يحفظونه بدون تعقل وبدون انتفاع به فى مطالعة او تطبيق فتمضى السنة وهم على حالهم قبل التعلم لا يميزون فى الكلام مرفوعة من منصوبه ومبنيه من معربه ولو انا انتظرنا بالنحو اربعاً او خمساً من السنين لسهلت دراسته فى ثلاث بدل ثمان سنين ومثل هذا علم الفقه بل تضييع الزمن فيه اظهر وغيرهما من العلوم مثلهما فى ذلك واكثر

ان من يدقق النظر يجد انه لم يوقع واضعى نظام التعليم قديما وحديثا في مخالفة الترتيب الطبيعي لدراسة العلوم الا انهم نظروا فى ذلك للكتب التى تدرس فى المعاهد ولاحظوا درجاتها فى السهولة والصعوبة بدون ملاحظة ذلك فى العلوم

التى وضعت، فيهافرتبوا الدراسة على حسب الكتب وقدموا دراسة المختصرات فى أي فن كانت على دراسة المطولات فاذا وجد وامتنا جمع قليلا من مسائل المنطق او البيان أو الصرف أو العروض أو نحوها من العلوم الدقيقة بادروا بدرسه للمبتدئين وأن لم يبلغوا درجة الاستعداد لدراسة تلك العلوم ولما أوقعهم ذلك فى مفاجأة الطلاب بعلوم قبل أن يستعدوا لها ويقووا على بحث مسائلها ودرسهافى أقرب وقت تأخذه اذا تعوطيت وقد كمل العقل لها اضطروا أن يدرسوا فيها كتبا كثيرة لا يفترق بعضها عن بعض الا قليلا ليفهم الطالب فى ثانيها مالم يفهمه فى أولها وهكذا فتضيع فى دراستها ازمنة كثيرة بدون فائدة وتأخذ زمنا أوسع من الزمن اللازم لو درست فى الوقت المناسب لها ولهذا نقول أنه لم يكن من اللائق ان ندرس فى القسم الاول المنطق وهو من علوم الفلسفة وأصعب من علوم البلاغة التى لاتدرس الا فى القسم الثانى ولم يحملنا على هذا الا أنا وجدنا فيه متن أيسا غوجي المختصر ولم نجد فيها الا متن التخليص المطول وكذلك لما وجدنا رسالة مختصرة للشيخ الدردير فى علم البيان درسناها

لطلاب السنة الثالثة قبل ان يستعدوا لفهم هذا العلم وقدمناه
على اخويه علمى المعانى والبديع لالشئ سوى أنالم نجد فيهما
مثل هاته الرسالة والا فهو لاينقص صعوبة عن علم المعانى ولا
يبلغ سهولة علم البديع ولو شئت ان استرسل فى هذا الباب
لسودت صحائف كثيرة وذكرت اضطرابات جمة في
ترتيب دراسة العلوم .

على أنى لا ادرى سر المجاراة النظام الجديد للنظام القديم
فى ذلك الترتيب ولا لاقتدائه به فى الافتتاح بدراسة مثل
فن الفقه والنحو مع انه لم يكن هناك من العلوم التى كانت تدرس
فى النظام القديم انسب منهما الذلك وكان عند الطلاب فيه من
واسع الزمن ما كان يسوغ لهم ان يعيدوا دراسة شرح ابن قاسم
على متن ابى شجاع ثلاثا اواربع مرات وشرح الكفراوي على
متن الاجرومية مثلها فهل لم يجد فى نظامنا علوما انسب منهما
لافتتاح الدراسة واقرب لتربية قوي الفهم فى الناشئين اللهم
نعم ولكن واضع النظام الجديد ظن ان العلوم الحديثة التى
زادها ولم تكن مألوفة للمعاهد ليست مألوفة ايضاً للطلاب
سواء الذين طرقت ديارهم وهم فيها والذين استجدوا فيها بعدها

وظن ان العلوم التى كانت مألوفة لهم اقرب لفهمهم وان كانت
اصعب منها مع ان هذا ان صح فى الطلاب الذين حضروا العهد
القديم وحالتهم استثنائية كما هو معلوم فلا يصح فى الطلاب
الجدد الذين لا يمكن ان يقال فيهم انهم الفوا علوما دون اخرى .
ولا يمكن ان يقال انه انما قدم هذين العلمين على العلوم الحديثة
وكذا غيرهما من علوم العهد الاول اهتماما بهما ولانهما المقصود
الاول للمعاهد الدينية فمثل هذا لا يصح ان يقال فى باب التعليم
ولعمرى انه ما كان لنا ان نفاجئ طلاب السنة الاولى بعلم النحو
والفقه من العلوم القديمة ونؤخر عنهم علمى الحساب والاشياء
من العلوم الحديثه ولا ان نؤخر درس التاريخ والجغرافيا على
درس الصرف والتوحيد ولا درس علمى الهندسة والرسم الى
القسم الثانى ونقدم عليهما درس المنطق والعروض فى القسم
الاول ولا ان نؤخر القدر القليل الذى يعطى من علوم الهيئة .
والطبيعة والتاريخ الطبيعى الى القسم العالى ونقدم عليها درس
علوم البلاغة والمنطق والكلام فى القسم الثانى وهكذا ترانا
لا نبدأ بعلم من العلوم الحديثة الا وقد سبقناه بعلمين او ثلاثة
من العلوم القديمة مع ان الاولى كما قلنا اسهل وكتبها الدراسية

على الطراز الحديث فى التأليف فهى اقرب لفهم المبتدئين من اسهل كتاب من كتب العهد القديم

عدم اعطاء كل علم حقه فى التعليم

علمنا مما ذكر سابقا عن ابن خلدون أن حق كل علم ان يدرس ثلاث مرات على الكيفية التى تقدمت ويلزم لهذا أن يوضع فى كل علم ثلاثة كتب كتاب للمرتبة الاولى وكتاب للمرتبة الثانية وكتاب للثالثة وقد عرفت أن انتخاب هذا من الكتب التى تدرس الآن غير متأت خصوصا ذات الحواشى منها فانها تأتى بغايات العلوم فى مباديها وبكل ابحاث الكتب العالية فيما دونها ومحال أن يغض الطلاب عنها انظارهم ما داموا يجدونها أمامهم ومادامت الشروح التى يدرسونها لا تستغنى عنها لذلك لا تزال هى العمدة فى اداء الدروس مع منع القانون من قراءتها ويجب ان لا نغفل مع هذا عن تفاوت العلوم من جهة الكمية والاهمية وهذا يكون بتقسيم زمن الدراسة عليها تقسيما عادلا يعطى فيه كل علم الزمن الذى يستحقه للدراسة مراعي فيه أهميته وكميته فلا يعطى علم ازيد

مما يستحق ولا ينقص علم عما يستحق وهذان أمران لم يلتفت
اليها فى نظام التعليم لا قديما ولا حديثا ولهذا تراه يكيل
لبعض العلوم جزافا فيدرسها اكثر من ثلاث مرات ويعطيها
من زمن التعليم بدون حساب ويخصها منه بأكثر مما تستحقه
أعظم العلوم اهمية ثم تراه فى اكثر العلوم وأهمها يقرر درسها
مرة واحدة ويشح عليها بالزمن الذي يكفى لدراستها هاته
المرة دراسة وافية ومن هاته العلوم علوم البلاغة ولقد كانت
فى النظام القديم لا تدرس فى شرح السعد حتى تدرس قبله
فى الجوهر المكنون تمهيدا له فلم يشأ النظام الجديد الا ان
يدرسها مرة واحدة وأن يطفر بالطلاب الى شرح السعد
بدون تمهيد له نعم ان البيان يدرس فيه في رسالة الدردير قبل
دراسته فى شرح السعد ولكن تخصيصه البيان بذلك دون
المعانى والبديع لا باعث له الا التحكم المحض

ثم أنا فى اول مدة الدراسة ننظر فنجد الزمن امامنا واسعاً
اثنتى عشرة سنة او خمس عشرة سنة فتعطى منه بسخاء واسراف
للعلوم التى ندرسها فى الاوائل ويحملنا هذا على ان نسير ببطء
فى دراستها وان نكرر فيها حتى أذا جاء دور العلوم العالية

وجدنا الزمن أمامنا ضيقا لا يكفى لدراستها فنسرع فى درسها ونتساهل فى تحقيق مسائلها ونكتفى بهذا ونترك ذلك الى أن يقدر لنا أن نصل الى اواخرها وقد تنتهى مدة الدراسة ولا تنتهى منها ومثل هذا نستعمله فى درس الكتب فنطيل البحث فى عباراتها أول السنة فاذا جاء آخرها وقد بقى من الكتاب أكثره قرأناه تلاوة وقد يكون هو الاهم من الكتاب والاحق بالعناية وليت شعرى أى فضل لعلم الفقه على بقية العلوم الدينية حتى نجود عليه من مدة الدراسة بأكبر قسط ونمكث فى تعليمه عشر سنين أو اكثر نعيد فيها دراسة فروض الوضوء وأركان الصلاة وهيآتها وغير ذلك من مسائل متن ابى شجاع فى كل كتاب يدرس بعده مرارا كثيرة فهل هذه المسائل من الخفاء بحيث لا تكفى لدراستها مرة اللهم كلا نصنع ذلك بعلم الفقه ونضن على علم الاصول بالزمن الذى يسع دراسته فى مثل كتاب ابن الحاجب مرة وكذا علم التفسير لا نعطيه من الزمن مايكفى لدرسه فى كتاب النسفى وهو أقل التفاسير وعلم الحديث مثلها فى ذلك وعلم الكلام مع ان لها فى الدين منزلة لا يبلغها علم الفقه

ويلى علم الفقه فى ذلك علم النحو ويضيع زمنه أيضاً فى اعادة مسائل الاجرومية فيما بعدها من الازهرية الى شرح الاشمونى على الالفية والذى يزاد عليه ما فيما يليها يعاد فيما يليه وهكذا وكان احق بهذه العناية علوم البلاغة التى يتوقف عليها معرفة أعجاز القرآن ومزايا اللغة العربية على اللغات البشرية ولو قسمنا الزمن الذى تدرس فيه عليها لوجدنا ما يخص كل علم منها أقل من خمس الزمن الذى يدرس فيه هذا العلم

وبعد فأن هذا العلم ونحوه من العلوم الآلية التى قال عنها ابن خلدون أنه يجب ان لا توسع فيها الانظار ولا يكثر الكلام فأن ذلك مع ما فيه من تصعيب الحصول على ملكتها عائق عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول الكلام وضياع معظم زمن التعليم فى وسائلها وعاب على المتاخرين توسيعهم دائرة الكلام وأكثارهم من التفاريع والاستدلالات فى صناعة النحو وصناعة المنطق واصول الفقه فأخرجها ذلك عن كونها آلية وصيرها من المقاصد ولكن كلام هذا الرجل فى اصلاح التعليم كان كأنه صرخة فى واد فلم يوقظ نائما ولم ينبه غافلا أستغفر الله فلعله هو الذى ايقظ الغرب من سباته العميق

فهب على أثره يصلح طرق التعليم عنده ونال بذلك مانحسده عليه اليوم ولا غرو فقد كان نداؤه بالمغرب أقرب اليه منا بالمشرق وكنا يوم ذاك لا نشعر بضعفنا فانتفع به الذى كان يشعر بضعفه

وقد يقول قائل أنا الآن ونحن لا ندرس معظم العلوم الا مرة واحدة نشكو ضيق مدة التعليم عن درس العلوم المقررة فما يكون الحال اذا درسنا كل واحد منها ثلاث مرات ومثل هذا لا يصح أن يؤثر علينا فى العمل برأى ابن خلدون فلنزد فى مدة الدراسة سنتين أو ثلاثا فان هذا لا يذكر بجانب ماتحصل عليه من التأنى فى دراسة العلوم حتى يتمكن الطلاب من تحصيلها وتثبيتها فى عقولهم ومن الاطلاع على مايغلب أن يفوتهم لو اقتصروا على مرة من أسرار الفنون ودقائقها ولا يكون حالهم كما نشاهده اليوم تدخل المعلومات فى ادمغتهم من ناحية وتخرج من أخرى ويحفظون اليوم وينسون غدا ثم انا أذا لم نسلك ما يسلك اليوم فى تكرار الدراسة من تضييع الزمن فى أعادة درس ماسبق درسه بعينه ولم ندرس فى ثانى مرة مالا ممنى لدرسه فيها بعد اول مرة وأضفنا الى هذا ما اقترحناه سابقا من الانتظار بكل علم الى

الوقت المناسب له فلا بد أن يتوفر لدينا أزمان من مدة الدراسة تكفى لذلك خصوصا اذا اتبعنا مااقترحه ايضاً لتوفير الزمن من الاكتفاء بأعادة درس العلوم مرة بعد السنين الاولى من التعليم ووصول قوتى الفهم والتحصيل فى الطلاب الى درجة مناسبة وأيضا فأن كثيراً من العلوم لا معنى لتكرار دراستها كعلوم التفسير والحديث واللغة والجغرافيا والتاريخ والحساب والجبر والهندسة والرسم وما عداها ته العلوم لا بد ان يعطى حقه فى الدراسة لافرق بين العلوم القديمة والحديثة هاته العلوم التى لو عكث على مجافاتها فنعذر فى الجهل بها ولا نحن لما عرفنا فضلها اعتنينا بدراستها وأعطيناها الزمن اللازم لها وبحثنا الدر سهاعن أساتذة ممن نبغوا فيها وما كان الازهر وتوابعه بأقل شأنا من الجامعة المصرية ولا كانت الجامعة أكثر منه مالا اذ لا تختار لدراسة العلوم الحديثة بها الا النابغين فيها من رجال العلم فى الشرق اوالغرب والازهر يفتش عمن يعلمها فيه بين حاملى الشهادة الابتدائية وغيرها من شهادات الحكومة المصرية ثم ان الجامعة المصرية لا تختار من أبنائها مدرسا فيها مالم تبعث به الى جامعات الغرب ليتوسع فيما سيدرسه فيها من العلوم

أما نحن فنستبدل بالاساتذة الذين علموا اماته العلوم فى المعاهد من تخرج عليهم فيها وكانت نتيجة ذلك ما بيناه اول الكتاب فليت شعرى كيف يكون حال من يتخرج فيها على يد معلميها الجدد وهم بلاشك أقل معرفة بها من أساتذتهم

﴿الاهتمام بقواعد العلوم دون ثمراتها﴾

يعجب الناظر فى المعاهد ان يراها يدرس فيها فنون شتى بين شرعية ولغوية وطبيعية ورياضية وفلسفية ولا يرى لمعظمها آثاراً ظاهرة على الطلاب فعلم النحو لم يكن الا ليصلح اللسان ولا يكاد يفترق لسان الطلاب عن لسان العامة وعلوم البلاغة لم تكن الا لتمرن الطلاب على الاساليب البليغة وتربى لهم ذوقا يتعرفون به درجاتها فى الكلام ويظهر أثره فى لسانهم وكتابتهم وشئ من هذا لا يظهر على من يدرسها اليوم وعلم الاصول لم يكن الا ليتوصل به الى معرفة كيفة استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها ولم يحاول واحد منا يوما ان يجرب نفسه فى استنباط حكم لما يشاهده من افعال العباد ولما يجد من الامور الكثيرة فى عصرنا بل وقفنا فى احكامنا عند ما وقف عليه اسلافنا من أعصر عديدة وتركنا معرفة احكام ما جد

بعدهم لغيرنا يبحث عنها فى أي مصدر كان وافقت شرع الله او لم
توافق ولا يهب واحد منا ليبان حكم الله الصالح للبشر فيها
وكذلك يدرس علم الكلام ليثمر فى نفس الطالب يقيناً بأمور
دينه فلا يخرج منها الا بشك دونه شك السوفظائية وبأيمان
خير منه أيمان عجوز نيسابورية ويدرس علم المنطق ليهدي الناظرين
الى الحق فى علوم الفلسفة ويتعرف به دارسه وجوه نقد
الادلة وترانا الى الان فى علوم الفلسفة نسير فى ظلام وليس
لنا قوة على فحص الادلة فحصاً منطقياً فمن اين أتانا كل هذا يا ترى
اللهـم انه لم يأتنا الا من انا لا نزال نفضل فى التعليم ان نملأ
الاذهان من مسائل العلوم ونشبعها من الابحاث وان ندرس
العلوم لذلك لا للاستفادة منها وبهذا كان تعليمنا نظريا اكثر منه
عملياً والواجب ان يكون الامر بالعكس فأنه هو الذى يقربنا
من الحصول على الغرض من التعليم ويدنى العلوم من غرس
فوائدها فى نفوس الطلاب واتجاه الافكار الى ذلك هو
الذى حملنا على ان نجعل كل علم ندرسه عبارة عن منازعات تتبادل
فيها الانظار ويحتدم الجدال وان نحاول اختراع مذهبين فى
كل مسئلة ثم ننتصر لاحدهما ونسترسل ماشاء الله فى ذكر

كل ما يمكن أن يكون له من ادلة قوية أو ضعيفة وبعد أن نرد الضعيفة نعود الى ادلة المذهب الآخر فنردها فأن كان هناك مذاهب كثيرة فقد عثر الاسد على فريسته والناشد على ضالته وما افرحنا بكل موضع من العلوم يطول فيه الجدال وتتعدد المذاهب وهذا وشبهه مما يفوت علينا الاغراض التي وضعت لها العلوم ويلفت طلابنا عنها الى ما نعنى به في دراستها وجدير بمن لا يهمه في درس العلوم الا قيل وقال واعترض واجيب ان لا يحظى من ثمراتها بنصيب

وبعد فهذا أمر لا يمكن الصبر عليه ولا تحمد عقباه وعندى ان قليلا من العلم يحصله الطالب ويتمرن عليه خير من كثير يملأ الدماغ ولا يوجد له أثر في الخارج فيجب أن نجعل الاغراض التي وضعت لها العلوم نصب أعيننا في درس مسائلها وان لا نهتم في كل مسئلة الا بأن تظهر منها شيئاً من هاته الاغراض في نفس الطالب ففي علوم البلاغة يجب ان نترك ما لا حاجة لها به من خلافات السعد وعبد الحكيم وغيرهما وأن نبين للطالب في كل مسئلة ما لها من الاثر في أساليب البلغاء ونمرنه على ذلك حتى تترب فيه ملكة البلاغة ويظهر أثرها على

اسانه وفى كتابته وفى علم الكلام يجب ان نترك الخلافات التى لا طائل تحتها وايراد الشبه التى لا قيمة لها فلا نسبح بالعقل فى عالم الاوهام ولا نجاوز به الحدود التى حدها الله له فى المعرفة ولا نعتمد الا على ما وضح من العقائد ولمست صحته من البراهين وما بعد هذا نغض النظر عنه ان كان واهياً او نكل امره الى الله ان كان عنا خفياً فبهذا تندفع عن الناظر فى هذا العلم الشكوك ويخرج منه يقينه سالما وفى علم الاصول يهتم بتمرين الطالب على استنباط الاحكام من ادلتها ولا يتعرض فيه لفروع علم الجدل وذكر المذاهب وترجيحها اذ لا يصح فى التعليم خلط مسائل علم بمسائل علم آخر فضلا عما فى هذا من تفويت فائدة هذا العلم على المشتغلين به وكذا يجب ان يكون الحال فى سائر العلوم

الاهتمام بحفظ الالفاظ

أنه ليخيل لى انه قد كتب علينا ان لا نهتم فى تعليمنا الا بالالفاظ فنعنى كثيراً بفهمها وفحصها على ما قدمنا ثم نعنى بها عناية أخرى تكاد تكون غايتنا من التعليم وذلك انا لا نهتم

فى تحصيل العلوم بتثبيت معانيهافى الذهن ولا نكتفى
بذلك وانما نعتمد فى التحصيل على حفظ المتون لانا نزعم
ان من حفظ المتون حاز الفنون وهذا هو الذى جعل الازهر
يقف في العلوم عندما وقف عليه علماؤنا من عدة قرون فلا
ترى بعد العضدوالسيد والسعد وغيرهم الا من يضرب على
نغمتهم ومن هو فى علومه عالة عليهم ولا سبب غير هذا يمكن
انّ نعلل به جمود الازهر فى حين أن مدارس الغرب التى
أخذت مثله عن علمائنا الاقدمين ولم تجعل أساسها فى التعليم
حفظ المتون قد نهضت بأبنائها نهضة كبيرة حتى نسخت
معارفهم كثيراً من معارف المتقدمين وغطت أفكارهم على
افكارهم واصبحنا نجد صعوبة فى اقناعهم بأن العرب أساتذتهم
أما نحن فلم نستحسن الا أن نقنع بتحصيل ما وصلوا اليه فى
علومهم ونتنافس فى حفظ مختصراتهم ونجعله غايتنا من التعليم

فمن الواجب أن نطلق العنان لافكار الطلاب ولا نقيدهم
بحفظ ألفاظ كتاب فتربى فيهم قوة النبوغ فى العلوم والقدرة
على ابتكار الجديد فيها والحصول من درسها على عقل واسع
وفكر ثاقب لا يكون أسير التقليد ولا يتعثر اذا سير به نحو

شئ غريب أو جديد وأى فائدة للتحصيل سوى أن يكون صاحبه قادراً على الظهور فى المجالس ولفت الانظار اليه سريع الاجابة عند السؤال حاضر الدليل فى النضال وكل هاته أمور كمالية فى العلماء ونفعها عائد عليهم ولا يستفيد العلم منها بشئ وانما تفيده الزيادة فيه بأفكار حرة وآراء جديدة على أن التحصيل بحفظ الفاظ تلك المتون المعقدة التى يلزم لاخذ المقصود منها زمن طويل تضيع معه تلك الفوائد السابقة للتحصيل ولا نريد أن نبخس التحصيل حقه فى التعليم فالطالب الذى يحصل اكثر من غيره يكون أوثق بنفسه وأقوى فى ابداء رأيه والطالب الذى لا يكون عنده محصول مناسب من من مختلف العلوم لا يمكنه أن يتوسع فيها لانه لابد له من أساس يبنى عليه ما يريد لنفسه من سعة الاطلاع وما يحب لعقله من النبوغ ولكننا لا نجوز أن يكون عندنا عناية بتربية قوة التحصيل فوق العناية بتربية قوة الفهم أو فى مرتبتها ولا نسوغ أن يكون التحصيل بحفظ شئ من المتون بل يوضع مختصرات واضحة فى الفنون يرجع اليها عند الحاج ويسترد الى العقل ما ينسى من مسائلها بالمذاكرة فلا نجعل

المتون عالة علينا طول العمر نضيع زمناً كثيراً من التعليم فى حفظها فاذا حفظناها لم يكفها مابذلناه فى حفظها من العناء بل تتطلب منا أن نتعهدها بالتلاوة يوماً فيوماً كأنها ورد أو كتاب منزل والا ضاعت ألفاظها من حافظتنا وذهبت معانيها تبعاً لها

ومن الغريب أنه لا يقتصر فى كل فن على حفظ متن واحد لان لكل كتاب متناً لابد من حفظه فاذا جاوزه الطالب الى ما بعده اعتنى بحفظه وأهمل القديم بعد أن ضيع زمناً لا يستهان به فى حفظه وبذلك تضيع مدة التعليم بين حفظ ونسيان وتعبد بتلاوة المتون كأنها كتب أنزلت القرآن وأغرب من هذا أن اكثر الطلاب يسارعون الى حفظ المتون قبل فهمها ودراستها فيزيدون الطين بلة وتموت بهذا فيهم قوة الفهم وتفقد ملكة الملاحظة فتراهم بعد دراستها يكررون تلاوتها كل يوم ولا يخطر ببالهم شئ من معانيها وأنما هى ألفاظ يكررونها على السنتهم ولا تصل معانيها الى قلوبهم كما حفظوها فى اول أمرهم

عدم التخصيص فى العلوم

توزيع العلوم على الطلاب وتخصيص كل فريق منهم ببعض منها أهم شئ فى التعليم ادرك فضله سائر المشتغلين به ما عدانا وعملت به سائر المعاهد العامية الحديثة فى الغرب والشرق . وقد كان الازهر جاريا على ما يقرب من هذا من نشأته الى زمن قريب يترك طلابه لانفسهم يطلبون لها من العلوم ما يلائمهم ما بين مقال ومكثر ثم ينقطع الواحد منهم لتعليم ما اختاره لنفسه من العلوم ورآها محسنة لدراسته طورا بأذن من مشايخ الازهر وطورا بلااذن ثم رأوا من عهد قريب أن لا يتعاطى حرفة التعليم فيه شخص الا بعد امتحانه في العلوم الشرعية والعقلية والعربية التى كانت تدرس فيه فاضطر طلابه أن يدرسوا تلك العلوم كلها ويحملوا أنفسهم مشقة درس مالا يلائمها منها ولكن كان امامهم من زمن التعليم الذى لم يكن له نهاية عندهم ما يمكنهم من درس هاته العلوم كما يحبون ومن التوسع فيما يلائم نفوسهم منها فلم يقض هذا على الفوائد التى كانوا

يستفيدونها من تركهم احرارا يتفرغون لدرس ما ترغب اليه نفوسهم ولم يقطع من بينهم سلسلة النبوغ فى مختلف العلوم التى كانوا يدرسونهافكنت ترى منهم الفقيه والمحدث واللغوى والنحوى والبارع فى علم الاصول والمنطق والنابغ فى علم الكلام والفلسفة وأسماء من اشتهر منهم فى ذلك لا تغيب عنا فلما جاؤونا بهذا النظام وزادوا علوم الطالب الى اضعاف ما كانت عليه وضيقوا امدة التعليم كثيرا عما كانت لم يمكن طالبا ان يتوسع فى علم من العلوم وأن يتفرغ لدرس ما تلائمه منها فأصبح طلابنا وليس عندهم الا معلومات قليلة من هنا وهناك لا تسمن ولا تغنى من جوع

لقد ظن واضع النظام الجديد أن فى تشتيت الذهن فى الحصول على قشور من العلوم القديمة والحديثة والاكتفاء من كل علم بمسائل يعرفها صغار التلاميذ فى مدارسهم ما يحمد به على النظام القديم ولو درى أنه بما فعل رجع به الى الوراء وغطى على حسناته القليلة لاعترف لذلك النظام بالفضل عليه واستأنف علاج الداء من جديد على وجه يقضى على السيئات ويستبقى أو يأتى بالحسنات فيكون له حقيقه على

الازهر الفضل وله منه الشكر

ولابد أن يعلم ان أمامنا فى التعلم من هذه الجهة طرقا نذكرها ليعلم أيها انفع الاولى أن لا يترك الطالب فنا من الفنون الا وينظر فيه ويطلع على مقصده وغايته ثم يطلب التبحر فيها ما دام عنده فسحة فى العمر والا اقتصر على الأهم واكتفى بالنظرة الاولى فى غيره وإلى هذا يذهب كثيرون على رأسهم الغزالى رحمه الله ومثل هذا لا يمكن العمل به اليوم لأن العلوم قد أصبحت كثيرة جدا وقد اتسع نطاق كل علم منها كثيرا ولا يتأتى لواحد أن يستقل بدرس أغلبها وحده وصار التعليم قاصرا على المدارس التى أعدت له ومدة التعليم فيها محدودة فليس لمتعلم أن يفنى حياته بين جدرانها ولا يأخذ قسطه من اعباء الحياة خارجها

الطريقة الثانية أن يشتغل المتعلم بما تقبله نفسه من العلوم ويدع ما لا تقبله وإليها يذهب كثير من الذين يجعلون من أهم شروط التعليم ان يقصد المتعلم العلم الذى تقبله نفسه ولا يتكلف غيره فليس كل الناس يصلحون لتعلم العلم ولا كل من يصلح للتعلم يصلح لسائر العلوم بل كل ميسر لما

خلق له ويقول ابن خلدون ان العلوم كالصناعات من حصلت
له ملكة في صناعة قل ان يجيد بعدها ملكة في أخرى ومن
كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا
لحصولها وهذه الطريقة كسابقتها أذ كيف نقتصر في العلوم
على ما نقبله النفس وندع غيره ولو اشتدت أليه حاجة الشخص
في حياته كعلم الحساب والجغرافيا ونحوها أو كان مما لا
يستغنى عنه متعلم كعلم النحو واللغة وأشباههما وقد قال الغزالي
أن المعرفة بعلم ما أقل ما تفيد صاحبها الانفكاك من عداوة
ذلك العلم بسبب جهله فأن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى
وأذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فمٍ مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

ثم أنه ليس من يطلع على علوم كثيرة على قدر طاقته كمن
يقتصر على ما تميل اليه نفسه ويغلب أن لا تميل الى اكثر
من علم أو علمين فأن الاول يكون أكثر ثقة من نفسه
بسعة اطلاعه فلا يخاف أذا خاض مع الباحثين ليؤيد مذهبا
أو ينصر عقيدة أن يكون فيما يجهله ما يلزمه في البحث
فيفضل الاحجام على الاقدام كما هو حال كثير من طلاب

العـلم اليوم

وليست العلوم كالصناعات لا يتسع العقل الا لواحدة منهـا بل من العلوم ما تشتد حاجة بعضها الى بعض ولا يتأتى أتقان واحد منهـا الا بمعرفة علوم كثيرة فالنجار مثـلا لا يمنعه أن يبرع فى صنعة النجارة جهله بصنعة الحدادة أو غيرها ولـكن الاصولى مثلا لا يمكنه أن يستفيد من فنه الا أذا كان عارفا بكثير مـن العـلوم اللغوية والشرعية والعقلية والحقيقة ان الذى يخاف عليه من تزاحم العـلوم فى العقل هو ملـكة التحصيل لا ملـكة الفهم . أما الثانيه وقد عرفت شأنها فتقوى بكثرة الاطلاع وتترقى بكل جديد تعرفه وينفعها هذا فيما تريد أن تتخصص فيه ولا يضرها

الطريقة الثالثة أن نجعل للتعليم دورين دور نعرفيه بالطالب على العلوم التى تلزمه فى حياته وفى دينه وفى تعليمه مرأ نقتصر فيه على أقل ما يمكن منها ولا نستوعب فيه كل العلوم كما يري الغزالى ودور نوزع فيه العلوم على الطلاب لينقطع فيـه كل طالب الى ما يمكنه أن يتبحر فيه فان التبحر في الكل كما يرى الغزالى غير ممكن للاسباب التى قدمناها وهـذه الطريقـة

تجمع محاسن الطريقتين السابقتين وتخلو من عيوبهما السابقة فيجب العمل بها وايثارها على غيرها

والعلوم التي تدرس في الدور الاول يجب ان تكون اما مما تكثر الحاجة اليه في التعليم كعلم النحو واللغة والانشاء فعلم النحو واللغة لا يستغني عنهما طالب في الاستفادة وعلم الانشاء لا يستغني عنه في الكتابة واما ان تكون مما تعظم الحاجة اليه في الدنيا او الدين كعلم الفقه والتوحيد والجغرافيا والتاريخ الخ فكل علم يكون كذلك يجب درسه في الدور الاول قبل ان يقتصر الطالب على علم من العلوم ومالا فلا كعلم الجبر والاصول

واما العلوم التي تدرس في الدور الثاني فيجب أن تكون مما تكثر فيه الانظار وتتعدد المذاهب كعلم التوحيد أو مما لا يسهل الحصول على ثمرته بمجرد معرفته بل لابد فيه من اكثار التمرين والتوسع في التطبيق كعلوم البلاغة والاصول أو من العلوم الواسعة التي لا يمكن استيعاب درسها في الدور الاول كالتفسير والحديث أو من العلوم التي لا تدرس في الدور الاول كعلم الجبر ويجب أن يراعى في توزيعها قدرة

الطلاب وارتباط العلوم بعضها ببعض فلا تجمع مثلا علوم البلاغة مع علوم الرياضة وهكذا

ويؤخذ مما تقدم ان من العلوم ما يكفى درسه في الدور الاول كعلم النحو والجغرافيا والحساب فيجب ان تاخذ حقها من الدراسة فى الدور الاول ومنها ما يدرس في الدورين كالتفسير والتوحيد وبعض العلوم الطبيعية والرياضية ويجب ان لا تزيد درسها فى الدور الاول عن مرة كما يجب ان لا يتوسع فيه ولا يتجاوز حاجة الطلاب منها الى ما يعنى به فى الدور الثانى من درس فلسفتها وتوسيع البحث فيها

ويجب أن نعتمد فى توزيع العلوم على اختبارات الاساتذة وما يعرفونه فى طلابهم من جهة استعدادهم وميلهم للعلوم وينفعنا أيضاً فى هذا مراجعة كتاباتهم فى الامتحانات التحريرية والدرجات التى كانوا يأخذونها فى مختلف العلوم فنأخذ لكل علم من الطلاب ما كان استعدادهم له اكثر لان فى مراعاة استعداد الطلاب للعلوم فى توزيعها عليهم ما يضمن لنا أحسن ثمرة نرجوها من التعليم واذا كنا لم نوافق من ذهب الى اعتبار الاستعداد فى قصر الطلاب على العلوم التى تميل اليها طباعهم

من أول الامر فلامانع اذا لم يكن من الواجب أن نراعي ذلك أخيراً اعني في دور التخصيص

الجمع بين جملة علوم فى التعليم

لابن خلدون رأى في التعليم أن صح فكل الناس مخطئون فى طرق التعليم الآن ولا ندري أ كانت العصور الاولى تجري عليه فى التعليم أم لا ولكن من كتب بعده فى التعليم من علمائنا الأولين وافقه عليه قال ابن خلدون من المذاهب الجميلة والطرق الواجبة فى التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا فأنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة وأذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما كان ذلك أجدر بتحصيله اه وقال شيخ الاسلام زكريا الأنصارى فى كتاب اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم لا يصح التنقل من علم قبل أتقانه الى آخر أو من شيخ الى آخر قبل أتمام ما بدأ به عليه فأنه هدم لما قد بنى اه

وقد كنا في النظـام القديم نجمع بين علمين أو ثلاثة في التعليم أما في هذا النظام فنجمع بين ست او سبع أو عشر من العلوم ولم يكن لنا عذر في عـدم العمـل بهذا الرأى في النظام القديم لانه كان عندنا من واسع الزمن وقلة العلوم ما كنا نتمكن معه من العمل به ولكننا في هذا النظام معذورون أذا جمعنا بين أربعة أو خمسة من العلوم بقدر الحصص الدراسية في اليوم لان زمن التعليم يضيق عن تعاطى العلوم الكثيرة اللازمة للطلاب في هذا العصر واحداً بعد واحد كما يرى ابن خلدون ونرى أنه من الامور الحسنة في التعليم ولا يبلغ درجة الأمور الواجبة فيه لان الجمع بين علمين أنما يعوق قليلا عن تحصيلهما ولا نظن أنه يعوق عن فهمهما وقد عرفت أنا نهتم أولا وبالذات في التعليم بتربية قوة الفهم ثم نعنى ثانيا بالتحصيل خصوصا في الدور الاول الذى لا يراد منه الا توسيع الفكر ويكتفى فيه بقليل التحصيل أما الدور الثانى دور التخصيص فهو الذى يعنى فيه بالامرين فـلا بأس من العمل بهذا الرأى فيه وفى تعليم الاطفال في المكاتب لأول دخولهم فيها وفى غير ذلك يراعى بما يتفق مع المدة المقدرة

للتعليم فيجمع بين علوم بقدرمايلزم لنا من الحصص اليومية ولا يزاد عليها كما نفعل اليوم بجمعنا بين أكثر منها ومجاوزتنا مقدار الحاجة الى الجمع بينها وقد يقال أنما يلزم ان تضيق مدة الدراسة عن استيعاب العلوم الدراسية على رأى ابن خلدون لو اقتصرنا فى العلم الواحد على حصة واحدة فى اليوم كمالو جمع بينه وبين غيره ومثل هذا يقال أذا جوزنا ان يدرس فى علم واحد اكثر من حصة فى اليوم وهذا لا يمكن العمل به فى اى نظام للتعليم فعندنا صغار الطلاب هل يصح ان نعطيهم حصتين او اكثر فى علم واحد كل يوم وعندنا المبتدئون فى العلوم هل يليق أن نعطيهم اكثر من حصة واحدة فى ابتدائها وكل آخذ فيما لا عهد له به يتألفه شيئاً فشيئاً ولا يكلف نفسه في اول أمره مايكلفها به في آخره ثم التأنى في دراسة العلوم الحاصل مع الاقتصار على حصة واحدة فيها يمكن الطالب من اتقان درسها ويفوته عليه التسرع فى دراستها يفعل ذلك فيها ثم هو يبعث فى النفس السأم من الدراسه فأنها تمل الشيء الواحد يتكرر عليها ويتجدد نشاطها اذا تنوعت عليها الدروس فى اليوم

عدم حمل الطلاب على الاشتغال

لم يكن فى النظام القديم مايحمل الطلاب على الاشتغال بالتعليم والانقطاع للدرس فكان يتقدم المائة منهم للامتحان النهائى فلا ينجح ألاواحد مع ان غيرهم من طلاب المدارس والجامعات يقضى عشر مدتهم فى علوم مثل علومهم ولا تكون نسبتهم فى النجاح مثلهم وقدجاء نظامنا الجديد مثل القديم الا قليلا رحب الصدر لكل غير مشتغل ولمن لا يصلح بفطرته لطلب العلم وكل ماوضعه لحمل الطلاب على ذلك لم يأت بالمقصود لانه لم يستوف مايلزم له فماوضعه لذلك تقدير زمن الدراسه بمدة معلومة خمس عشرة سنة فى الظاهر وهي فى الحقيقة ثلاثون بسبب تجويزه للساقطين فى امتحان سنة ان يعيدوا دراسة علومها مع من انتقلوا اليها من طلابها الجدد وثلاثون سنة كثيرة جداً على التعليم وتخدع الطلاب فتجعل البليد يظن أنه سيصل فيها الى مايصل اليه الذكى فى أقل منها وكذلك يظن الذكى المتلاعب فيفرط فى اللعب ثم يخطئ ظنهما فيندمان علي تضييعهما الزمن بدون ان يتحصلا على ثمرة وعلي

عدم صرفه فى غير هذا الباب من صناعةاو زراعة اوتجارة
او أي حرفة من الحرف التى كانت تنفعهما و نندم على ان
خدعناهما حتى فوتنا عليهما الزمن الذى كان يمكن لكل منهما
فيه ان يعد نفسه لعمل آخر ينفعه في حياته وعلى ان تركنا مثلهما
بين طلابنا تنتقل عدواهما اليهم وينشر ان الفساد بينهم ولو انا
فعلنا كما تفعل مدرسة القضاء الشرعى فى عدم قبول الساقطين
لقضينا على الكسل واللعب المنتشرين بين طلابنا اليوم وانه
لا شفاق فى حزم ماتفعله تلك المدرسة مع طلابها والخير من
التغرير الذى نفعله نحن مع طلابنا ومع هذا فكان يكفينا اذا
أبينا الان ان نعامل طلابنا بمحض الاشفاق خمس سنين نتساهل
بها مع الساقطين أما في القسم الاول أو العالى على حسب
ماتقتضيه المصلحة فلا تبلغ مدة الدراسة ذلك الحد الذى يبلغ
فيه الطالب سن الشيخوخة ولا ينتهى من التعليم

عدم الاعتناء بتربية الاخلاق والمبادئ

ان طلابنا لا يزالون على حالهم الاولى فى النظام القديم
من جهة الاخلاق وقليل منهم من يشعر بأنه طالب معهد

ديني يجب ان يعمل على احترامه في شخصه داخله وخارجه او بأنه سيكون زعيماً دينياً يجب أن يعد نفسه بما يلزم له من الاخلاق العالية والخلال الحميدة وانا الى الآن لم نقلع عن فعل مالا يجوز ذكره في بيوت الله ليل نهار وأمام من يأتي ليتفقد آدابنا ونظام التعليم عندنا من الاجانب مما كان يحمر له وجه كل طالب يعلم الغرض من زيارة الاجانب للمعاهد وان أغلبهم يأتون منتقدين لا متفرجين وأني لا أسمع لمن يقول أن ذلك لا يصدر الا من صغار الطلاب فأن هذا غير صحيح وان صح فيكفي انه يصدر من الصغار أمام الكبار ولا يردعونهم اوليس مع كل صغير كبير من بلده يمكنه ان يزجره عن فعله وكل منصف لا يسعه الا الاعتراف بأن مثل هذا نتيجة الوسط الذي هم فيه وقبح الوسط لا يكون لكباره تأثير في صغاره ولا تغطي آدابهم على رعونة الطفولة وطيش الشباب فهذا أقل ما في عيوبنا الاخلاقية ثم انك لترى بين ابناء البلد الواحد من التنازع والتباغض مالا يجعل لتعليمهم أثراً في بلدهم ويجعلهم عرضة لانتقاد العوام ان لم يكن مبرراً عندهم لما يكونون عليه من التنافر والتحزب

وهذا هو السبب الوحيد فى أن مكث الازهر والمعاهد الدينية في مصر تلك السنين الطوال ويندر أن لا يؤمها من كل قرية طالب او أكثر ثم هى لا تزال تعيش عيشة جاهلية لا أثر فيها للدين اقارب متباغضون وأبناء بلد واحد متحزبون وترك للصلوات وسائر الفروض وقتل وسرقات وطغيان وزور وبهتان واتباع للملذات والشهوات اما المبادئ فلا تخطر ببال واحدمنا ولا يعنى الاستاذ فى درسه ان يغرس مبدأ في نفوس طلابه دينياً او علمياً اوأدبياً يعملون له حيلتهم ويحملهم على طلب العلم حباً فيه لا للحصول به على شهادة أو وظيفة والطالب الذي لا مبدأ له فى الحياة يحركه للعلم لا قيمة له فيها يعيش عاطلا ويموت خاملا ولا تنقص تربية الاخلاق عن المبادئ فى حمل الطلاب على الجد فى طلب العلوم والرغبة فيها لذاتها وأنك لترى كل طالب يكون عظيما فى نفسه عالياً فى اخلاقه أرقى علماً من كل طالب سافل النفس دنيء الاخلاق وان كان هذا أذكى من ذلك ولقد عرفت علماء الغرب ودوله فضل تربية الإخلاق والمبادئ فى الطلاب على ترقية العلوم والمعارف والنهوض بهم الى ماتراه من العظمة المادية والادبية

فجعلوا التعليم عندهم اخلاقياً أكثر منه علمياً ولم تبلغ دولة من دوله ما بلغته دولة بريطانيا في الاهتمام بالتربية الاخلاقية ولذا تراها أكثر نفوذاً في الكرة الارضية من غيرها وقد قال الفيلسوف جوستاف لوبون الفرنسي ان الاستاذ الانجليزي يهتم قليلا بالتعليم ويفرغ جهده في تربية الاخلاق لانها عنده اكبر عامل في حركة العالم وقد قررت الملكة فيكتوريا مكافاة سنويه لمدرسة ولنجتون وعهدت الى البرنس ألبير بتحديد شروط نيلها فقرر ان تهدى لارفع التلاميذ اخلاقا لا لأكثرهم علماً فأين هذا مما نحن عليه اليوم في معاهدنا ومدارسنا السنا نهتم بأن نملأ الادمغة علماً وان افتقرت اخلاقا ولا نعطي المكافأة الا لأكثر الطلاب علماً وان كان أقلهم اخلاقا وماذا عمل نظامنا الجديد لاصلاح هذا النقص حتى يربي لنا رجالا لا يكونون مثلنا اليوم ننتهز فرصة انتهاء مدة التعليم لنعوض على أنفسنا ما فاتها من كل ما تشتهيه النفس من أنواع الراحة كأن حال الدين والعلم والوطن لا ينادينا للعمل وكانه لم يكن لنا اغراض كبيرة من التعلم ولا مبادئ سامية تدعونا الى الحركة خارج المعاهد التي يود أكثرنا اذ لا يخرج من بين جدارنا

الا الى القبر

لم يعمل لذلك الا ان أضاف الى العلوم الدراسية علم الاخلاق وجعل الغرض من دراسته تحصيل مسائله لا تهذيب الطلاب به ثم سن للسلوك درجات لا بد منها للنجاح في الامتحان ولكن هذا لا يراعى الا قليلا وأوجب ايضاً على كل منتسب ان يقدم شهادة بحسن السير والسلوك فيقدمها كل منتسب بدون ان نتحقق من صحتها مع انا نعلم سهولة الحصول عليها لكل انسان عندنا فهذه هي الامور التي أتى بها هذا النظام لاصلاح ذلك النقص قد جاءت غير وافية فلم تتمكن من القضاء عليه وزاد الطين بلة تساهلنا في العمل بها وتغلب الشفقة علينا في تأديب المذنبين من طلابنا وظننا ان حرمان طالب من العلم جريمة لا يبررها ذنب مع ان معاهدنا لا تخرج الا زعماء الدين ومن ينظر الى اقوالهم وافعالهم للاقتداء بها والسير على منوالها فاذا لم يكونوا على احسن الاداب والاخلاق فهنالك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى اذ ينتشر الفساد باسم الدين وعلى ايدى من جعلناهم رجاله على نقصهم في الاخلاق وفقرهم في الآداب

عدم النظام المدرسى

يكون الطلاب نظاميين حقيقة أذا اجتمع فيهم أربعة أمور أولها ان يواظبوا على دروسهم فلا ينقطعون عنها الا لعذر شديد ثانيها أن يقوموا بواجب الدراسة من استحضار كتب الدراسة وكراسات الخط والا نشاء فى حصصها والتزام السكينة فى الدروس والامتثال للمدرس وغير ذلك ثالثها أن يكون عندهم وازع من حب العمل الذى انقطعوا له وحسن اعتقادهم فى غايته يحملهم على القيام بذلك الواجب رابعها ان يكون عندهم شعور بسلطة تكافئ المسئ بالعقاب الذى يردعه وتكافئ المحسن بما يزيد فى أحسانه وهاته الامور لا أثر لها فى المعاهد الى الآن وقد حاول النظام الجديد أن يحصل عليها فلم ينجح تمام النجاح ويستحيل أن تحصل المعاهد عليها ما دامت مفتوحة لكل لاعب وما دام لا يعنيها من الطالب الا أن يحصل مسائل العلم وأن كان عاطلا من الاخلاق العالية والمبادئ السامية فهى بذلك لا تهئ لنا الا وسطا تنافر طباعه النظام وينافرها

وأهم سبب فى فقد النظام المدرسى عندنا تساهلنا فى أمر غياب الطلاب وتركهم اذا انقطعوا عن الدروس اليوم واليومين الى الثلاثين بلا سؤال عن سر انقطاعهم ولا يمحى اسم الطالب عندنا اذا تغيب الا اذا مضى عليه ثلاثون يوما ومع أنه كان يجب أن تكون المدة المسوغة لهذا اقل من ذلك بكثير يوجد من التساهل فى قبول الاعذار والاعتماد على الشهادات الطبية التى يسهل الحصول عليها ما ينقطع معه الطالب اكثر من ذلك ثم يعود ثانياً فلا يجد عندنا مانعاً

ثم ان طلابنا يشعرون بسوء مستقبلهم وعدم عناية اولياء الامور بهم وترى أغلبهم من هذا يدرس العلم فى المعاهد على كره منه وسواء عليه استمر فيها الى النهاية أم انقطع من نفسه أو بحكم رؤسائها فليس هنالك ما يأسف على فوته وكثير منهم يتركها الى مدارس المعلمين الاوليه ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى والجامعه المصرية أو الجامعات الغربيه ان وجد من يوصله اليها وبهذا فقد الوازع النفسى الذي يحملهم على القيام بواجبهم فى المعاهد وحفظ النظام فيها كما فقد بما سبق الوازع القانونى ولا سبيل الى اصلاح ذلك الا بأن نضرب

على ايدى المتلاعبين ونضيق ماامكن فى مدة الغياب التى يقطع بها الطالب ولا نترك طالباً يتغيب ولو حصة بدون سؤاله عن سبب تغيبه واخبار ولى امره او احضاره لينظر فى امره ثم لا نعتمد على شهادات غيرنا فى انتحال الاعذار الكاذبة بل نعتمد على ماهو مدون عندنا فى دفاتر المواظبة ودرجات النجاح فان هذا هو الذى يبين لنا درجة اشتغال الطالب وهل هو صادق او ممن عادته التغيب وانتحال الاعذار واولى فى الاعتماد من تلك الشهادات شهادة الاساتذة الذين يهمهم امر الطلاب

وعلى الحكومة الآن بعد أن سنت هذا النظام للمعاهد أن تقوم بما يلزم للسير به الى الامام من تحسين مستقبل أبنائها وفتح باب وظائفها لهم حتى يجدوا منها مايتناسب مع كثرة عددهم ولا تجعلهم يشعرون بأدنى اهمال منها لهم فيهملون فى واجبهم ولا يصرفهم عن هذا قليل الالتفات الذى تظهره نحوهم والا تفعل ذلك فيكون خيراً منه للعلم ما كنا عليه يوم كنا لا نطمع فى مال ولا ننظر الى وظائف ولكن هذا غير متيسر فى هذا الزمن خصوصاً بعد أن صرفت الحكومة نفسها نظرنا عنه

التساهل مع المنتسبين

هذا من أكبر أسباب وجود العيوب الثلاثة السابقة في المعاهد فان قبولنا لكل منتسب وعدم انتخابنا منهم من يمكنه القيام بواجبها فتح بابها لكثير ممن لم يفد وجودهم فيها الا افساد نظامها وتكليفهم ماليس في استعدادهم وصرفهم عما كان ينفعهم ثم لا يستمرون فيها الا بقدر ما ينشرون فيها أنواع الفساد وتفوت عليهم الامور التي كانت تلائمهم في الحياة وبينما تتساهل معاهدنا في ذلك نرى مثل مدارس المعلمين ومدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم تدقق مع من ينتسب اليها تدقيقاً سهل لها أن تخرج مثل رجالنا في نحو ثلث أو ربع مدة الدراسة عندنا

تعتمد المعاهد قديماً وحديثاً في قبول المنتسبين على حفظ القرآن الكريم فيسهل دخولها على كل من يقصدها وان لم يكن يصلح لها لان حفظ القرآن لا يكفي في تمييز الصالح لها من غيره لان التعليم في المعاهد وغيرها يعتمد على الفهم أكثر من الحفظ الذي قد يسهل لمن لا يفهم أكثر ممن يفهم

وكان لنا ان نعذر المعاهد فى التعويل على اختبار حفظ المنتسب دون فهمه لو كان حال التعليم الاولى فى مصر الان على ماكان عليه فى الزمن القديم ولكنه قد تبدل الحال وأصبحت المدارس الاولية تعنى بدراسة علوم كثيرة مثل الحساب والخط والاملاء والديانة مما يصلح لاختبار قوة الفهم فى المنتسبين فيجب ان نضيف الى اختبارهم فى حفظ القرآن اختبارهم فى تلك العلوم ولم يجد النظام الجديد شيئاً يعتمد عليه فى معرفة اخلاق المنتسبين سوى شهادات حسن السير والسلوك التى يوقع عليها عمدة البلد ومشائخها فلم تفدنا شيئاً سوى ملء خزائننا بأوراق لا طائل تحتها وأى منتسب لا يمكنه الآن أن يحصل على هاته الشهادات ولو كان قبيح السيرة فاسد الاخلاق وأى عمدة لا يجود بأمضائه لها أرضاء لابن بلده وقد يكون قريبه مادام يعرف انها تؤخذ من يد المنتسب الى الخزينة المعدة لها بغير بحث فى أمرها فعبث الاعتماد على هاته الشهادات وعبث طلبها من منتسبين لم يبلغوا سن التكليف ولا يزالون فى حالة يمكننا معها ان نهذبهم ونقوم أخلاقهم وليس من المظنون أن نعثر على شئ يفيدنا فى انتخاب طلابنا من بين احسن

المنتسبين أخلاقا وأكرمهم طباعاً فأن مثل هـذا لا يعلم الا بالتجربة والمعاشرة ولا سبيل الا ندقق فى امتحانهم ونضيف الى الامتحان فى حفظ القرآن الامتحان فيما قدمنا فأن جودة الفهم تستتبع غالباً كرم الطبع وحسن السلوك وان لا نقبل منهم الا من كان فى سن لم يجمد فيه طبعه على ماألف من شر او خير ولم يجاوز لين الطفولة وسهولة انقيادها الى مايراد بها

لقد كان النظام القديم يسوغ لكل طالب فى أى سن الانتساب الى المعاهد فأراد نظامنا ان يصلح هذا النقص وشرط فى المنتسب ان لا يتجاوز سبعة عشر عاما فجوز لكل من فات سن التأديب ان يلتحق بالمعاهـد لأن سن التأديب ينتهى ببلوغ سن التكليف والى هذا تشير الحكمة العربية المشهورة (لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه) ولا يمكن ان نتساهل فى قبول مثل هؤلاء لانه ليس لنا وسط صالح يتربى فيه الطفل على حب الفضائل واجتناب الرذائل فأذا قضى سن التأديب بينه فهو بلا شك يكون مثله ويعسر علينا اذا قبلناه فى معاهدنا ان نقتلع ماغرسه فيه وقد جمد جسمه عليه

ان الغصون أذا قومتها اعتدلت

وان تلين أذا قومتها خشبا

وتأخره الى هذا السن دليل انه تطبع بطباعهم وترك الالتفات لدرس العلوم المكتبية التى لا يتأخر فى الحصول عليها الى هذا السن الا كل كسل سيئ السلوك يبعد أن ينفتق ذهنه لعلومنا وقد جمد بجمود جسمه وأصبح فى درجة يشعر فيها بهموم الحياة ولا يتهيأ له التفرغ اللازم لكل متعلم خصوصاً المبتدئ الذى لم يذق من طعم العلوم مايرغبه فيها ويصرفه عن شواغل الحياة ولا يمكن بعد هذا ان يقال ان التعليم يجب ان يفتح بابه لكل قاصد ولا يصح ان يحرم منه احد وانى لفى غنى عن ذكر الاثار الدالة على ان العلم لا يصح ان يبذل للكل وأنه يجب ان يحجب عمن لا يصلح له وليس فيما اقترح حرمان منه وانما هو يحمل الاطفال على الالتفات لدروسهم حتى لا يدركوا هذا السن الذي يحرمهم من طلب العلم نعم قد يكون فى هذا السن من يكون أقوى ممن دونه على التعليم ولكن هذا نادر ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح

ثم انه يجب فى تقدير سن الانتساب مراعاة مدة الدراسة

ليعرف أى سن يصلح له لا يكون صاحبه بعد انتهاء مدة الدراسة في سن لا ينتفع به فيه ولا يبادره في أثنائها السن الذى يكون فيه عرضة لانشغال البال بأمور الحياة قبل ان يقطع منها شوطا يهون عليه مابقى منها وقبل ان يدرك لذة درس العلوم فلا يشغله عنه شاغل وهـذا هو مالوحظ فى الانتساب الى مدارس المعلمين الاولية ودار العلوم والقضاء الشرعي فلم تتساهل فى سن الانتساب اليها الى الحدود المعروفه الا لان مدة الدراسة فيها أقل بكثير منها عندنا ولان بعضها مع هذا يشترط فى المنتسب ان يكون فى قوة طالب السنة السابعة عندنا وبعضها يشترط مايقرب من هذا أما نحن فمن ينتسب الينا يكفيه حفظ القرآن الكريم وان يكون خلواً من كل العلوم ومع ذلك نتساهل فى سنه الى الحد الذى قد عرفته كما ان مدة الدراسة عندنا قابلة للمط الى ان تبلغ ثلاثين سنة فاذا أضفنا اليها سبع عشرة تكون سبعاً واربعين وهل ينتظر من شخص جاوز الاربعين اذا طلب للتعليم ان يقوي على مشاقه وليس هو الا كما يقول الشاعر

وماذا تبتغي الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

فيجب ان نراعى في المنتسبين ان لا يفوت علينا وقت استعدادهم للتعليم والتأديب وان لا يدركوا سن العشرين قبل ان يدركوا من العلوم ما يرغبهم في الاستمرار على طلبها وان يكونوا في الثلاثين أو أقل منتهين من التعليم حتى يمكن لمن يعلم منهم ان يقوى على التعليم ولمن يريد التوسع في العلوم أن يجد من القوة ما يساعده على أمنيته وهذه الامور لا تتحقق الا بجعل الحد الاعلى لسن الانتساب الثانية عشرة ولا بأس أن يبقى الحد الادنى على حاله في النظام الجديد فيمكن بهذا ان نحصل على طلاب يمكننا تأديبهم وأن نفتق بالتعليم أذهانهم ونحصل منهم اذا انتهوا على رجال يمكنهم أن يقوموا بالتعليم حق القيام

الاكثار من الطلاب في معهد واحد

هذا أيضاً من أسباب فساد النظام في المعاهد فان الطلاب متى كثروا جداً في معهد ولم يمكن أن يعرف بعضهم بعضاً عسر ملاحظتهم على الرؤساء وأمكن للمتلاعبين منهم أن يقوموا باحداث الاضطراب بين هذه الجموع الكثيرة ويختفوا بينهم

وينجوا من العقاب الرادع لهم وكلما كثر الطلاب وجهل
بعضهم بعضاً كثر توزع المسئوليه الادبية لطائفتهم عليهم
وقل مايصيب أفرادهم منها وشعورهم بها فلا يتحرزون عما
يعيبها بل يفعل بعضهم القبيح أمام بعض كما يفعله أمام من
لا يعرفه فلا يهمه أمره ولا يخاف لائمته والآخر من عدم
معرفته به مايهون سكوته عن ردعه وبكل هذا فقدت
عوامل حفظ النظام فى المعاهد فلاخوف من الرؤساء ولا
شعور بالمسئولية الادبية ولا خوف من لائمة الاخوان
وضاعف هذا أن معظم الكثرة من الاحداث الذين
لا يشعرون بالواجب ولا يعرفون قيمة المعاهد ومثل ذلك فى
الضرر اكثارنا منهم أمام معلم واحد حتى يبلغوا السبعين
وقد كانوا يبلغون فى النظام القديم المئين ولا يمكن لمعلم أن
يحفظ نظام فصله اذا جاوز الثلاثين كما لا يمكن أن يعمهم كلهم
بالفهم فيفضى عن كثير منهم ولا يكلف الله نفساً الا وسعها

ولا يمكن اصلاح هذا وذاك الا باكثار عدد المدرسين
فى المعاهد وانشاء معاهد ابتدائيه فى كل مديريه ومعاهد
ثانوية لكل مديريتين ومعاهد عالية فى كل من مصر وطنطا

واسكندريه وأسيوط فبهذا يقل الطلاب في المعاهد الموجودة الآن ويقل مايصيب المدرس من الطلاب

قلة اوقات العمل السنوية

سيعجب القارئ اذا رأي ان السنة الدراسية في المعاهد يضيع (١) نحو نصفها في غير عمل وان هذا علة طول مدة الدراسة الذى يشكو منه الطلاب ففي الزمن الذى كان ابتداء السنة الدراسية فيه ١١ شوال كان الطلاب يمتحنون في اوئل رجب ويتركون ثلاثة أشهر وعشرة ايام اجازة صيفية ثم يتركون عشرة ايام للعيد الاضحى وعشراً أخرى لمولد النبي صلى الله عليه وسلم وعشراً ثالثة لمولد ولى من اولياء المدن التى توجد فيها المعاهد وعشراً رابعة على ايام متفرقة ومجموع ذلك اربعة اشهر وعشرون يوما ويضاف اليه أيام الخميس الذى هو في حكم يوم الجمعة عندنا فنترك الدرس فيه لبعض الطلاب وندرس حصة واحدة للبعض الآخر وهذا يبلغ خمسة عشر يوما أو عشرين يبلغ بها ذلك خمساً وكسوراً يضاف اليها شهر يضيع

(١) هذا قبل التعديل الجديد اما بعده فقد اصبحت الحالة مما لا يطاق

فى الامتحانات واستعداد الطلاب لها فتلك ستة أشهر وكسور
تضيع فى بطالة وتحسب ظلماً من مدة الدراسة ستة شهور
من سنة قرية لا شمسية(١) كما عند غيرنا تضيع فى بطالة مصيبة
عظيمة والله ولا يقتصر ضررهذا على اطالة مدة الدراسة على
الطلاب الى ان تدركهم الشيخوخة فى دور التلمذة فمفاسده
غير هذا كثيرة لأنه يبلد الاذهان بقلة العمل ويعودها على
حب البطالة ويقطع اتصال مدة الدراسة كما يقطع دراسة
العلوم ويفرق بين مجالسها وقد قال ابن خلدون ينبغى للمعلم ان
لا يطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع
ما بينهما لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها
عن بعض فيعسر الحصول على ملكتها اهـ وطول الاجازة
الصيفية الى هذا الحد مضر بالتعليم وقاض بأن ينسى الطالب
فى كل سنة ما يحصله فيها من العلوم ومضيع عليه الف الطلب
وحب الدرس فيعود فى كل سنة وكأنه ينشئ طلباً جديداً وما

«١» ارى ان تكون سنتنا الدراسية شمسية لانها اطول ولتكون
اجازتنا ثابته لا تتغير ولا تأتي في غير الوقت المناسب لها كما نفعل
وان لا نقطع الدراسة في رمضان اذا لم يأت فيها ونجعل لدروسه
شكلا مخصوصاً كما عند غيرنا

كان لتلك البطالة ولا لغيرها من البطالات المبتدعة وجود فى أعصر الاسلام الاولى واذا كان الخليفة عمر الخطاب رضى الله عنه رأى ان يرتاح المتعلمون والمعلمون يوم الجمعة من كل اسبوع فكان من الواجب ان نقنع به ولا نحاول ان نضم اليه يوا الخميس مع ان غيرنا لا يضيع هذا اليوم مثلنا واذا كانت البطالات لازمة للمعلمين والمتعلمين ليرتاحوا من عناء التعلم والتعليم فينبغى ان لا تطول حتى لا تؤدى بالطلاب الى نسيان ما علموه ولا تذهب ألفهم للطلب ونشاطهم للدرس فأن هذا يضيع الغرض منها وهو تجديد نشاط الطلاب بأذهاب ما عندهم من تعب الدراسة ولهذا أرى أن لا تزيد ايام البطالة فى السنة عن ثلاثة أشهر عافيها بطالة الامتحان والعيدين وغيرها وان يكون يوم الخميس كغيره فى العمل وان يكلف الطلاب باعداد اشياء فى بطالتهم كمطالعة كتب لا تدرس فى المعاهد او كتابة ابحاث أدبية او علمية او غير ذلك مما يتعلق بتطبيق العلم على العمل ويكون كافياً لشغلهم ساعتين على الاقل فى كل يوم وأن يوجد لهذا الوسائل التى تجعلهم لا يتهاونون فيه كامتحانهم فيما طالعوه ومطالبتهم بأظهار ما كتبوه

قلة الاعتناء بصحة الاجسام

لم يهمل فى المعاهد شىء اهمال التربية البدنية وأنه ليتولى على أكثرنا فكرة قاسية جداً هى أنه يجب ان يضحى الجسم فى سبيل العقل كأنه لا يقوى الا باضعافه ونسينا قول الحكماء العقل الصحيح فى الجسم الصحيح ولا ننكر ان للمعاهد مستشفيات وأطباء يداوون المرضى ولكن ماذا يفيد هذا مع ما فيها من عوامل المرض الكثيرة وكم من الاطباء يلزم للالوف المرضى فيها ولا يكفى الا نفكر فى مداومة المرض ولا نفكر فى الوقاية منه ولا يجادل واحد فى انتشار الامراض بالمعاهد وأنها من أكبر العوامل فى قتل النبوغ فيها واطفاء شعلة الذكاء فى طلابها وأهم أسباب ذلك أمور اربعة اولها عدم العناية بالرياضة البدنية والالعاب الرياضية ثانيها بقاء أمكنة الدراسة على حالها الاولى ثالثها سوء حال مساكن الطلاب رابعها عدم جودة طعامهم فالالعاب الرياضية مهملة فى المعاهد ويترفع عنها فيها من يعد نفسه ملتفتاً لدروسه وترويح النفس خارج المسجد وتعريض الجسم للهواء الطلق خارج المساكن

مرة كل يوم يظن عندنا تلاعبا عن الدروس وتشاغلا عن طلب العلم وبهذا يقضي اكثرنا مدة الدراسة بين جدران المساجد ويألف فيها عيشة النوم والتقاعد ولا يحب الحركة في الحياة ولا مزاحمة العاملين في ميدان العمل فان لم يحمله على هذا ألف التقاعد أقعده عنه ضعف الجسم بعدم تربيته وأعياه الذهن بمداومة العمل ولا أدري لم نكره تلك الالعاب فلا يكون لها عندنا مثل تلك الامكنة الفسيحة التي هي من لوازم المدارس في هذا العصر تقضي فيها للجسم حقه كما تقضي للذهن حقه ما بين لعب بالكرة ومصارعة ومسابقة فتكون حياتنا ضاحكة مستبشرة لا صعبة عابسة وفي الاولى دواعي العمل وفي الثانية عوامل اليأس والكسل فأيهما أفضل لذي نظر ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجمع قومه للعب والمسابقة أما كان يسابق عائشة زوجته أما كان يجمع رجال الحبشة للعب فيشاهد وعائشة تشاهدون خلفه فهل خطئة ما كان يفعله كلا ليس من الخطئة ان نعمل ما يولد فينا النشاط ويذهب تعب الدرس ويحفظ للجسم قوته وللعقل ذكاءه وانما هو احتقار كل جديد وكراهة كل ما لم يكن عندنا وان كان له أصل

في شرعنا

وأما امكنة الدراسة فهي المساجد وهي لاتصلح لها صحة ولا نظاما فأن ارتفاع الاصوات فيها حال الدراسة والمذاكرة تنشأ عنه جلبه شديدة تؤثر في صحه الاجسام ذكرت هذا مجلة المقتطف في العدد لاول من مجلة السنه الثالثة عشرة وهي تعرض الطلاب في الشتاء للبرد الشديد من تحت ومن فوق وفي الصيف اشدة الحر الناشئة عن ازدحامهم في مكان واحد ولكل منهما فيهم امراض كثيرة لا يخلوا منها طالب وما احرى وذلك الصياح المزعج الذي نصبح فيه ونمسى أن يجعلنا أقرب الى الرعونة والخفة منا الى الهدوء والثبات ولهذا ترانا في مساجدنا نتحرك لادنى شيء ويكثر بيننا الصياح والصفير لكل تافه ثم ان الاساتذة بتقارب مجالسهم فيها وعدم وجود حائل بينهم يهوش بعضهم على بعض فلا يتمكنون من أداء الدرس كما يرغبون ويضطرون الى اجهاد أنفسهم حتى يسمع طلابهم في وسط تلك الجلبة وينالهم بهذا من الضرر ماينالهم وكذلك التفتيش الذي يجب ان يكون في غفلات المدرسين لا يمكن فيها ولسنا في ما كلنا ومشاربنا

ومساكننا بأقل بعداً عن القواعد الصحية مما تقدم فطعامنا
رديء ومساكننا غير نظيف ونظامنا في الأكل منحرف عن
القواعد الصحية وذلك يرجع الى أمرين أحدهما من جهة
الطلاب وعدم اعتنائهم بمراعاة تلك القواعد كأن لا يجعلوا زمناً
معيناً للأكلهم وكأن يجمع أحدهم بين أن يأكل ويطالع وتكون
يده أسبق لتناول الكتاب منها لغسلها عقيب الأكل الخ وهذا
لا يمكن اقلاعهم عنه الا بملاحظتهم فيه وشغلهم بألعاب رياضية
بعد الأكل تساعدهم على هضم الطعام وتشغلهم عن تناول
الكتب قبله ثانيهما يرجع الى أن حال معظم الطلاب لا يساعدهم
على أن ينتقوا لانفسهم من المساكن أصحها وأن يكون لهم
خدم يقومون بتنظيفها كل يوم وبتنظيف ملابسهم وأعطيتهم
وتعريضها للشمس لتقتل ما بها من المكروبات وتطرد عنها
الحشرات ويجهزون لهم طعاماً جيداً ولا يكلونهم لطهاة
الشوارع يدسون لهم السم في الطعام ويجمعونه لهم من كل
ما عفن أو سوس وكل هذه أمور تشق على الطلاب منفردين
ولكنها تسهل عليهم مجتمعين وهذا بأن ننظم طلابنا في
معيشتهم على شكل الاقسام الداخلية للمدارس الاميرية

أو ننشئ عندنا على الاقل أقساما داخلية يأوى اليها كل من يجد فيها الراحة لنفسه ويحب أن يفرغ نفسه لدرسه فنأخذ من أولياء طلابنا ما ينفقونه عليهم ونضم له المال الذى نشترى به خبزا لهم فيأخذه من يستحقه ومن لا يستحق ثم نكترى لهم منه المساكن اللازمة والخدم الذى يتولى أمرها وننشئ لهم فيها المطابخ والمطاعم والمشارب والحمامات وغير ذلك ومن المستحسن أن نختار لهم شكلا فى الملابس يليق بمركزهم ويجعل الغير يحترمهم ويبعث العظمة فى أنفسهم فيتحلون بما يليق به من أكمل الآداب وأكرم الاخلاق ولا نعول فيه على العمامة فقط فقد أصبحت لا تكفى فى حمل الطلاب على مايلزم من الآداب لها لشيوع لبسها واتخاذ العظيم والحقير لها ولا بأس أن يتركها صغار الطلاب حتى يشعروا بما يلزم لها من آداب ويكون لبسها حقيقة موجبة لاحترامهم لا مجلبة للسخرية بهم

العيوب الخاصه

قد استطردنا فى كثير من المواضع السابقة الى نقد

كثير من مواد النظام الجديد وسنتم هنا نقد ما بقى منها بادئين بنقد شكل امتحان هذا النظام

كان فى النظام القديم امتحان واحد يؤديه بالاختيار كل من يريد الحصول على شهادة العالمية ولم يمتز عنه نظامنا الا بالامتحانات المتكررة فى آخر كل سنة ونصفها وقد نقلت مجلة المقتطف عن عالم أمريكى أنه كان يرى ترك الامتحانات العمومية لانها تدعو الطلاب الى معرفة مالا فائدة فيه والى اجهاد قواهم قبلها اجهاداً يضر بهم ويضعف عقولهم ولقد كنت أري مثل هذا قبل أن أراه لما كنت احس به فى نفسي وأشاهده فى اخوانى من تأثير العمل الشاق الذى يكلفون به أنفسهم قبيل الامتحانات ومواصلة التحصيل ليل نهار لالغرض سوى ان يحصل احدهم فيها على درجات اكثر من أخيه (والترتيب الاول) قاتله الله كم أضاع عقولا كبيرة وأطفأ ذكاء متوقداً فهل تحصل من الامتحانات على فوائد تساوى هذا الضرر أو تزيد عليه وهل للمسابقة فيها مزايا تعوض علينا مايضيع بها من ذكاء وما تسببه من نقص فى الادراك قد يفضى الى الجنون فان كانت فائدة الامتحان حمل الطلاب

على الجد فى الطلب وإبعاد الكسل عنهم فالمأمون يمكنهم القيام بذلك بتنبيه الرؤساء على غير المشتغلين ليعاقبوهم أو يطردوهم بل فى هذا حملهم على الاجتهاد طول مدة الدراسة والامتحان لا يستدعى منهم الا أن يشتغلوا أويقات قبله فى آخر كل سنة بمقدار ما يجتازونه ثم يعودون الى حالهم وبعض الامتحان وما حملوه له بالتعب الكثير والعناء الكبير وكم من المتلاعبين الذين عندهم شيء من الذكاء والقدرة على التحصيل يجتازون عقبته بسهولة فيلعبون طول السنة اعتماداً على قدرتهم على تحصيل ما يلزم لامتحانها فى أزمنة قليلة قبله

واذا كان هذا حال الامتحان واردنا بقاءه فى المعاهد أفلا يكون من الواجب السعى فى تخفيف ضرره بأن نزيل منه ما يحمل الطلاب على اجهاد قواهم قبله ونقتصر على امتحان واحد كل سنه ونلغى امتحان نصف السنه وبأن نفاجيء به الطلاب فى آخر السنة أو فى اثنائها ولا نعلمهم به قبله فيتخذون وقته القليل لتحصيل ما كانوا يدرسونه وينسونه طول السنة ولا يجدون غير مواصلة العمل ليل نهار فى هذا الوقت القليل ليمكنهم أن يسترجعوا الى ذاكراتهم ما

فرطوا فيه وفى مفاجآتهم به ما يحملهم على أن يتخذوا الحيطة له كل وقت ويفرقوا ما يلزم له من عمل على جميع الاوقات ولا يقسموها أوقاتاً للعب والاهمال ووقتاً للعمل الشاق وأعياء الجسم والعقل به واذا كنا سندرس كل علم ثلاث مرات كما قدمنا فلا بأس أن نرجيء امتحان كل علم الى المرة الاخيرة فيكون الامتحان السنوي فيما تمت دراسته من العلوم ويترك ما لم يتم دراسته بدون امتحان الى ان تتم ويجب أيضاً أن لا تجرى الامتحانات على شكل مسابقات بين الطلاب لئلا تستدعى أن يتنافسوا فى الاكثار من تحصيل ما يلزم لها وان يجهدوا أنفسهم فى ذلك اجهاداً مضراً ويكفينا منها ان تكون وسيلة لحمل الطلاب على العمل ولا نصل بها الى ذلك الحد الذى يستدعى من العمل ما يضعف الاذهان بدل أن يشحذها ويبعث الحسد والحقد بين الطلاب على ان سبق واحد من الطلاب غيره أو أن يكون فى أوائل اخوانه لا يدل الا على انه عمل اكثر منهم وقد يكون غيره أذكى منه ولا يفيد الا انه يستنفذ مواهبه كلها لاجل الامتحان بينما الذي يريد من اخوانه ان يكون رجل المستقبل

يصرف من ذكائه على ذلك بمقدار ويوفر الباقى شيئاً منه للمستقبل وشيئاً لاعداد نفسه لما يريد ولقد كان اكثر النابغين من هذا الصنف ولم يكونوا ممن وهب حظ السبق فى الامتحانات ومن الواجب أيضاً ان لا نهتم فى الامتحان باختبار قوة التحصيل اكثر من اختبار قوة الفهم فى الطلاب فان اهتمامنا بهذه دون تلك يجعلهم يعنون بفهم العلوم اكثر من حفظها ويهتمون بنقد مسائلها ليكون لهم فيها آراء تنفعهم فى الكتابة فى الامتحان بالشكل الذى نطلبه ولا يجعلهم يهتمون بحشو عقولهم بكل ما قيل دون ان يعنوا بنقده كما نفعل الآن فى الاستعداد لامتحان التحصيل كما لا يجعلهم يجهدون انفسهم بما يجهدونها به اليوم لان قوة الفهم لا تستفاد بكثرة الكد وهي وهبية اكثر منها كسبية ولا يكفى فى الحصول عليها أويقات الامتحان مهما بذل فيها من العمل وشحذ الاذهان

ولا يخفى انه من يوم ان جاءنا هذا النظام لا تصاغ أسئلة الامتحان الا من عبارات الكتب ولا يعنى فيه الا باختبار قوة التحصيل حتى سهل اجتياز عقبته على كل من يحفظ

ولا يفهم وصرف الطلاب عن الاعتناء فى دروسهم بالفهم واذا كان الامتحان لمعرفة درجات عقول الممتحنين فقوى الذكر والتحصيل أقل جميع القوى الانسانية كشفاً عن عقول البشر كما يقول الفونس اسكيروس صاحب كتاب اميل القرن التاسع عشر (التربية الاستقلالية) وان تساهلنا فى الامتحان من هاته الجهة ومن جهات أخرى قد تحملنا عليها الشفقة هو الذى سهل لكثير من طلابنا ان يترقوا فى السنين الدراسيه بغير استحقاق وقد سمعت ان طالباً فى السنة السابعة سئل فى اعراب سمع الله لمن حمده فقال عن سمع انه فعل ماض منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة فعجبت كيف يجتاز هذا وأمثاله امتحانات ستة وليس غير السنة الاولى اولى بهم وهل يعتل هذا يرقى التعليم عندنا اللهم كلا فأن وجود أمثال هؤلاء فى تلك السنين قاض بأن ينحط فيها التعليم الى ان يمكن لمثلهم الانتفاع منه والاستاذ ملزم بأن يراعى فى التعليم أقل طلابه فهما فأى معنى لتلك الشفقه التى تصير بالتعليم عندنا الى هذا الحد اليس من المحزن أن نتساهل فى كل امتحان قبل الامتحان النهائى ونفرح بأن تكون نسبة النجاح فيها

فى المائة أو أقل بقليل فأذا جاء دوره شددنا فيه حتى تكون نسبة النجاح ٢٠ / أو أقل وأذا كان التشديد واجباً فى الامتحان فلماذا لا نستعمله من اول الامر حتى لا نطمع الطلاب فى شفقتنا الى آخر الطريق ثم نضن عليهم بها بعد ان يبلغوا سناً لا يمكنهم فيه استئناف سلوك طريق آخر

الشهادات الازهرية

يجب ان تكون شهاداتنا ثلاثاً بعدد ادوار التعليم ويكون لحامل كل واحدة الحق فى وظيفة من وظائف البلاد تليق بشهادته ليكون لنا الحق في انتخب لكل دور طلابه خصوصاً دور التخصيص فلا ننتخب له الا من يظن فيه النبوغ وبلوغ درجة العلماء المفكرين فى علومه ولا يخفى ان حركة التأليف قد وقفت عندنا من قرون عديدة ولا اريد به التأليف الذى يعمد الى المطولات فيختصرها والى آراء الغير فينقلها فهذا يوجد منه كثير عندنا ولا يكاد يحسن غيره من يشتغل بالتأليف فهم اما عالة فيه على رجالنا الاقدمين او على رجال العلم الغربيين أما التأليف الذى تظهر فيه روح

الاستقلال ظهورها فى مؤلفات الغزالى وابن خلدون وابن
سينا وابن رشد وغيرهم فقد ذهب مع أولئكم الرجال وفقدنا
الاستقلال فى العلم منذ عولنا فى اعتبار العلماء على ما بأيديهم
من شهادات فمن كانت شهادته أعلى كان مقامه اسنى وان كان
من غيره ادنى ولم يكن لهذه الشهادات وجود ولا اعتبار عند
سلفنا وانما كان الذى يظهر العالم تأليف نافع أو مذهب جديد
فى العلم فيذيع بهما ذكره فى الاقطار وتشد اليه منها الرحال ولا
شك ان هذا هو الذى نشأ عنه رقى التأليف فى تلك العصور
وأظهر روح الاستقلال العلمى فى فلاسفة العرب بعد أن
اشتغلوا قليلا بالنقل عن فلاسفة اليونان ولا يمكن ان نحظى
بهذا الاستقلال ما لم نجعل الحصول عليه شرطا لنيل درجة
العالمية ونفعل مثل الذى تفعله الجامعات فى أوربا أذ تجعل
التأليف الذى يظهر فيه الاستقلال الفكرى لطلابها شرطاً
فى نيلهم شهاداتها حتى لا تقف حركة هذا التأليف ولا
يصير عندهم الى ما صار اليه عندنا فهل يصح لازهرنا ان
يظل معتمداً فى نيل شهادته الاخيرة على الامتحان ولا يجعل
لها ميزة على ما يسبقها من الشهادات اليس من الواجب ان يعمل

لبعث ذلك التأليف الذى قبر عندنا من قرون عديدة وأنا نقترح لهذا احدى طريقتين الاولى ان لاتكون الشهادة الاخيرة التى تنال بالامتحان نهاية شهاداتنا بل يجعل بعدها شهادة اخري لاينالها الا من يقدم مؤلفاً على ذلك الشكل في العلم الذى درسه أخيراً ولنسم شهادة العالمية مقيدة بذلك العلم وتسمى الاولى شهادة الدراسة وتكون الوظائف العالية والتعليم بالقسم العالى لحاملي شهادة العالمية والثانية ان نقتصر على شهادة واحدة كما هو الآن ونشترط فى نيلها ذلك الشرط أيضاً ولعل الاولى أنسب وأسهل لان هذا التأليف لايمكن الا لقليل من الطلاب

التفريق بين العلوم في التعليم

أنه لعجيب مايسلك فى نظامنا من شغل الطلاب بعلوم كثيرة قد تبلغ العشر في آن واحد وتقسيم حصص الاسبوع عليها حصة لهذا وحصة لذاك وحصتين لثالث وثلاثا لرابع وليس فيه غير علوم قليلة تأخذ حصصاً بعدد أيام الاسبوع ولم يكن مثل هذا متبعاً فى النظام القديم أذ كان كل علم يدرس

لا تنقطع حصته في يوم من الاسبوع فاذا علمت ان أغلب الطلاب قديما كانوا لا يشتغلون الا حصتين في اليوم عجبت لرضاهم يعامين يقتصرون على حصتين فيهما وعدم اكتفائنا بعلوم اربعة ندرسها في الحصص الاربعة المقررة في نظامنا ان مدة الدراسه هي هي وجمعنا بين علوم كثيرة في التعليم لا يوفر علينا شيئاً والفرق هو اننا نزيد في تشتيت ذهن المتعلم كلما زدنا في الجمع ونقربه من تفريغ الفكر اللازم له في التعليم كلما قللنا

وليس يقتصر ضرر هذا الامر على ذلك بل يستوجب أيضاً التطويل على المتعلم في الفنون التي يجمع بينها بتفريق المجالس وعدم تتابعها وقد قال فيه ابن خلدون انه زريعة ألى النسيان واذا كانت اوائل العلم وآوخره خاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان كانت ملكته أيسر حصولا وأحكم ارتباطا لان الملكات أنما تحصل بتتابع الفكر وتكراره واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه اه

وليتنا وقفنا عند هذا النوع من التفريق بين درس العلوم ولم نعمد الى نوع منه لم يكن له وجود في الازهر القديم وقد

حذر منه شيخ الاسلام زكريا الانصاري فقال في كتابه اللؤلؤ النظيم لا يصح التنقل من علم قبل اتقانه الى آخر او من شيخ الى آخر قبل اتمام مابدئ به عليه فأنه هدم لما بني ولا أدري أي مبرر لعدم العمل بهذا الرأي الآن اذ نقطع درس معظم العلوم مرتين وأكثر فندرس العلم سنة ثم نتركه سنين الى غيره ونعود اليه أخري ثم نتركه مثلها ونعود الى اتمامه في الثالثة ان لم نرجئ أتمامه مدة اخرى هذا لعمري عدول عن سنة آبائنا الحسنة الى مالا يرضاه في التعليم انسان وليس لهذا سبب الا عدم ادراكنا ضرر هذا العمل وأنا نعجل للطلاب بالعلوم قبل ان يقووا عليها فنعطيهم منها مسائل قليلة ثم نتركهم الى وقت آخر يكونون فيه قد استعدوا لها ولو انا انتظرنا بهم الى هذا الوقت لامكننا ان نشرع لهم فيها ولا نتركها حتى يتموها

تكوين الفصول من المتفاوتين في الفهم

لا يمكننا ان نعد هذا من عيوب النظام القديم وقد كان يترك الطلاب احراراً يختارون لهم من الاساتذة من يوافقهم ولا تعلو طريقته في التعليم على مداركهم او تنحط عنها فلا يوجد

أمام استاذمنهم الا من تقاربت عقولهم واتفقت اذواقهم مع ذوقه أيضاً وهذا ضروري لاستفادتهم منه وتقارب قواهم العقلية امامه يمكنه من ان يسلك في تعليمهم طريقاً يرضاه الكل ولا يلجئه لان يسلك مع بعضهم طريقاً يخالف ما يسلكه مع البعض الاخر وان يعيد مسائل الدرس مرة لهذا ومرة لذاك فيضيع من زمن التعليم فى ذلك شيء كثير وينساله فى ذلك مشقة عظيمة ويمنعه من سلوك ما يراه نافعاً هذا فضلا عما فى وجود الذكى بجانب البليد من الظلم لانه يمنع الذكى ان يسترسل مع أستاذه فى حل الغامض والوصول الى لب الحقائق والا نحا به نحواً يدق على البليد ويضيع عليه أزمنة من الدرس فيما لا يفيده فاذا تنزل الاستاذ الى تفهيمه اضر بالذكى وضيع عليه من أزمنه التعليم ما هو فى حاجة اليه لاشباع نفسه وتغذية عقله وكل هذا سلم منه النظام القديم باطلاقه الحرية للطلاب في اختيار المعلمين وان كان يؤدى فى الغالب الى أن يجلس امام أستاذ مايقرب من الالف وأمام آخر اثنان او واحد فيمهد بالضرر من ناحية أخرى ولكنه ضرر لا يوازى تلك المفاسد السابقة

أن اول شيء فعلناه في النظام الجديد لتكثير الفرق بين قوى الطلاب فى فصولهم انا لم نعول على شيء نافع فى انتخاب المنتسبين لنحصل منهم على اشخاص متقاربين فى الفهم بل عولنا فيه على حفظ القرآن الذي كما يمكن لاعلى انسان فى الفهم يمكن لادنى انسان فيه ثم وسعنا بين أقل سن يقبل فيه المنتسب وأكبر سن يقبل فيه وجعلنا طلاب السنة الاولى خليطا ممن سنه بين عشر وسبع عشرة سنة وجمعنا بين من لم تكمل فيهم قوى الفهم وبين من بلغوا مبلغ الرجال فى العقل وسار هذا التفاوت بالضرورة الى السنة الاخيرة وقد كان لنا مندوحة عن ذلك بعد السنة الاولى ومعرفتنا درجة كل واحد من الطلاب فى الفهم بالامتحان فنرتبهم على حسب ترتيبهم فيه ونختار لكل فصل أستاذا يضاهيه ليرضوا به ويرضى بهم ويجب ان يكون لكل دور من ادوارنا الثلاثة علماء لا تنحط درجتهم فى التعليم عنه ولا تعلو عليه وان لا نخلط بين الادوار الثلاثة فى ذلك كما تفعل الان ونخالف به كل الطوائف القائمة بالتعليم اليوم

عيوب التفتيش

من اللازم أن ننشئ للمعاهد تفتيشاً دقيقاً يقوم به رجال درسوا الانظمة الحديثة للتعليم فيرشدون مدرسيها الى العمل بها ويأخذون عليهم من الملحوظات مايرون ويكتبونها فى دفاتر التفتيش التى تكون مع المدرسين ليروها بأعينهم ويكون لها الاثر فى تحسين الدرجات والترقية الى الوظائف العالية ولو أنافعلنا ذلك من يوم أنشاء هذا النظام لكان له أثر عندنا وشأن غير هذا الشأن وكنا اهتدينا به الى المنهج المصرى فى التعليم فى اقرب زمان ولم نترك الامر فوضى فى طرق التعليم كما كان الى الان ولكنا أنشأناه وسكتنا عن التفتيش الى مايقرب من عشر سنين ثم جئنا بنوع منه يشبه ان يكون زيارة لا تفتيشاً ولا يقع الا نادراً مرة فى السنة تقع فى يومين أو ثلاثة وقد تطول الى أسبوع او أسبوعين ويأتى المفتش الى المعهد فلا يختار ان يفاجئ المدرسين ليعرف سيرهم العادى فى الدراسة وهل يسيرون على ماسن لهم فى التعليم بل يزور أولا شيخ المعهد ثم بعد ان يعلم المدرسون بوجوده ويحتاطوا

لانفسهم ان كان هناك مايقتضي الحيطة يقضي تفتيشه مروراً بين الفصول أو يقف قليلا عند بعضها ولا ارشاد ولا انتقاد ولا كتابة ملحوظات واذا كنا لم نر في المفتش الان يكون أقل من رؤساء المعاهد وفي مرتبة المدرسين فليس لنا ان نحمله كل هذا التقصير وحق له ان الا يلاحظ شيئاً على مدرس وان لا يقوم بما يسمى تفتيشاً مع رئيس معهد ان المفتش بماله من حق الملاحظة حظة على المعاهد ورؤسائها ومدرسيها يجب ان يكون في مرتبة لا تلجئه الى أن يحابي رئيساً او يغض النظر عما لا يوافقه من أعماله يجب ان يكون في درجة تمكنه من القيام بواجب وظيفته مع المدرسين فلا يمنعه من نقد طرقهم في التعليم شعوره بأنه لا ترتفع درجته عن درجتهم ولا يخاف من تنبيه المهمل كما يخاف النظير ان يعيب نظيره وهذا حق طبيعي لهاته الوظيفة والمفتش في جميع الاقطار له مرتبة أعلى من كل من له حق التفتيش عليه

اصلاحات مهمة

تعليم اللغات

قيل ان من يعرف لغة واحدة كمن ينظر بعقل واحد ومن

يعرف لغتين كمن ينظر بعقلين وهكذا تتسع مدارك الشخص كلما ازداد علماً بلغات الشعوب ومعرفة بعلومهم واطلاعا على مذاهبهم فى الدين والاجتماع والاخلاق والتشريع والعادات فاذا قلنا وجوب دراسة اللغات الاجنبية فى المعاهد فلا نريد الا الخير لابنائها وان لاتظل معارفهم فى قصور يجهلهم مالغيرهم من علوم ومعارف وعدم المامهم بما فى الكون من غرائب الخلق ومدهشات الفكر الانسانى وان لايمكثوا على انقطاعهم عن العالم فى عصر التعارف والتعاون وتبادل المنافع وفى قرن تقع الحادثة فيه فى أقاصى الغرب فيرن صداها فى أقاصى الشرق وليس هذا وحده هو الذى دعونا الى معرفة اللغات الاجنبية فهناك داع آخر هو تأخرنا فى العلوم والمعارف عن غيرنا من الشعوب العصرية واظن ان تلك الدروس القاسية التى أخذناها فى الايام الاخيرة كافية فى تفهيمنا انا لسنا أضعف من غيرنا قوة لاعير بل ضعفنا عنهم فى العلوم أكثر واذا كانت أوربا تنشئ المدارس لتعليم اللغات الشرقية وغيرها ودرس آدابها قديمها وحديثها الا لان علومها ينقصها شئ منها فأنها كما يعلم الناس فى غنى عنها وأنما هو ان لا يفوتهم شئ فى الكون بغير

أن يدرسوه فبأي لسان أصف حاجتنا الى معرفة لغاتهم كما
يعرفون لغاتنا ومعارفنا لاتذكر بجانب معارفهم وحاجتنا شديدة
الى الاستفادة منهم ودرس لغاتهم لاتنحصر فائدته فى ترقية
معارفنا فمن يعرف ان علما طريفا دخل حديثا فى اللغة العربية
ونحن فيه عالة على علماء الغرب ذلك هو تاريخ آداب اللغة العربية
يدرك مايعود على لغتنا من التهذيب فى الفاظها وما يدخلها من
مناهج جديدة فى التعبير ومايجد فيها من أساليب حسنة فى
الكتابة والشعر وليس بدعا ان يدرس الازهريون اللغات
الاجنبية وانما هم به يحيون سنة آبائهم فى العصور العباسية فلم
يتركوا لغة من لغات العلم الا تعلموها ونقلوا علومها ومذاهبها
فى الدين وغيره الى لغتهم ووسعوا اما ذتها بها والنبي صلعم عرف
فائدة معرفة العربى بلغة غيره فأمر زيد بن ثابت يتعلم اللسان
العبرى وكثير من الصحابة كان عارفا بلسان الفرس والروم
والقبط والسريان واذا درسنا اللغات فى معاهدنا وجب ان
يقصد منها اربعة امور الاول الانتفاع بعلومها وربما لايتجاوز
هذا ثلاث لغات الالمانية والفرنساوية والانجليزية فتوزع على
الطلاب فى جميع أقسام الدور الثالث ليعرف كل طالب لغة

منها ينتفع بها فيما يدرسه من العلوم الثاني الموازنة بين آداب اللغة العربية وبين آداب اللغات الراقية منها لكمل لغتنا بما ينقصها من آداب غيرها ويكون درس هاته اللغات في قسم البلاغة توزع على طلابه لتختص كل طائفة منهم بلغة الثالث التوصل بدرسها الى معرفة أصولها وارتباط بعضها ببعض وما تركته لنا من الآثار القديمة ولا يختص هذا بلغة من اللغات ويكون درسها في قسمي التاريخ واللغات ولا يصح ان نقصر في القيام بهذا ويكفي ما لحقنا من العار باهمالنا درس لغات آبائنا وآثارهم وقيام علماء الغرب به وكشفهم لنا بذلك من تاريخهم ما جهلناه الرابع ان تساعدنا على نشر الدعوة الاسلامية في بلاد المسلمين النائية وفي بلاد الغرب الذي يصور فيه الاسلام بأنه دين وثني يدعو الى عبادة الاصنام وتدرس اللغات لهذا في قسم فلسفة الاديان

أرسال بعثات الى اوربا (١)

الحكمة ضالة المؤمن يطلبها انى وجدها وليس في

(١) لم تترك الحكومة في هذه الايام طائفة من الطوائف الا ارسلت منها بعثة علمية ولم يبق الا طائفتنا المسكينة ولكن الذنب ليس على الحكومة

فى الاسلام مايمنع أخذ العلم من غير المسلم ولو كان صينيا وثنيا وبالاولى اذا كان أوربيا كتابيا وان ارسال بعثات أزهرية إلى الاقطار الاوربية من الواجب الذى لايسوغ اهماله والازهريون بمااشتهروا به من الصبر على التعليم وببعدهم عن الافتتان بزخارف أوربا التى تصرف شيابنافيها عن العناية بالعلوم التى هاجر لطلبها هم الذين يمكنهم ان يصلوا بالعلم عندنا الى الحد الذى وصل اليه فى أوربا هم الذين يمكنهم ان يصلوا بنا الى مابلغوه في استخدام العلم لمصلحه الكون ولايغتروا بالقشور التى تغتر بها بعثات الحكومه فيقفون فى فهم المدنية الغربية عند ظواهرها ولا يتعدونها الى بواطنها ولقد كنا سائرين في الطريق الموصلة أيام البعثات الاولى التى كان يرسلها محمد على باشا ومن بعده من الخديويين وكانت تربيتها تكاد تكون أزهرية ان لم تكن أزهرية فظهرت على أيديهم بشائر النجاح فى الاختراع والتأليف وتهذيب العلوم وترجمة الكتب العلمية ومع أن المتعلمين منا فى أوربا الان اضعاف تلك البعثات فلا تكاد ترى لهم ميزة على غيرهم ولا أثرا كتلك الاثار اللهم الا ترجمة رواية أو نشر مذهب ألحادى اوعادة افرنجية

ممـا كان له أسوء أثر فى هذه الامة المسكينة وفى كثير ممن تربى تربية مدرسية فهام يظنون ان الرقى كل الرقى في الاخذ بقشور المدنية الغربية والاستخفاف بالآداب القومية ولعل القارئ بعد هذا يدرك مقـدار حاجتنـا الى ارسال بعثات أزهرية الى أوربا ويدرك مايكون له من الاثر فينا بعد أخذ علومها عن رجالهـا والوقوف على ميل العلماء فيها نحو ديننـا وما يلزم لنشر الدعوة بينهم بل مثلنا لا يوجد فى أوربا ويسكت عن نشر مزايا دينه فيها كما تسكت البعثات الاخرى جهلا منها به ولأنها لم تترب تربية تجعلها تهتم بأمره

انشاء ناد ومجلة

لا يمكن ان نصل فى العلم الى ماوصل اليه غيرنا ونلحق بهم قبل ان يتسع الفرق بيننا وبينهم مالم ننشئ فى كل معهد ناديا يجمع بين أساتذته للبحث فى كل مايوصلنا الى هذا الغرض ويعلم منه كل من لم يزل على الطريقة القديمة فى الدراسة ماجد فيها من المناهج الحديثة والا فسيظل أكثرنا على ماألفه قديما ويأتى من يتخرج عليه فيحذوا حذوه ونستمر على هذا الى ماشاء الله

وللنادى فى المعهد فوائد جليلة بما يلقى فيه من المحاضرات في العلم والادب وبما يبعثه فى رجاله من التنافس فى ابتكار الاراء العلمية واختراع مايحسن من الاساليب العربية ويربى فيهم ملكة النقد اللازم لبحث الاراء وسيكون النادي في المعهد كمحكمة يرجع اليها فيما يقع من الخلاف بين علمائه وطلابه فى المسائل العلمية والخلافات الدينيــة ويلزم لكل ناد مجله تنشر محاضراته المفيــدة لنستفيد منها ويستفيد طلابنا وتظهر في آخر كل شهر جامعة أبحاثه وغيرها مما يستحق النشر

انشاء لجنة تأليف و مجمع علمى

ان غيرنا من رجال دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وغيرهم لهم لجان للتأليف والنشر والترجمة كان لها الفضل فى تشجيع العاملين منهم والا كثار من حملة الاقلام بينهم وأنا نأسف لان صحائف التأليف الحديث فى الكتب والمجلات والجرائد طافحة باقلام غيرنا وليس لرجال معاهدنا أثر في تلك الحركة الا شواذ منهم اثنين او ثلاثة ربما كان الفضل فى نهوضهم للاختلاط برجال العلم المصريين ولمابذلوه من أنفسهم

في تثقيف عقـولهم فعلينا ان نسعى في احياء حركة التأليف عندنا وان ننشئ له لجنة في ازهرنا لا يكون لها عمل غير التأليف وترجمـة الكتب النافعة في سائر اللغـات ويعرض عليها ما يجد في معاهدنا من المؤلفات لتنظر فيها وتحمـل بها ما تستحق من المكافآت وتلاحـظ الكتب الدراسيـة تغير فيها وتبدل وتضيف اليها ما يجد من المعـارف كل عصر ولم يبق الا المعاهد تترك كتبها الدراسية لرحمة رجال المطابع وتجار الكـتب يختارون لها أقبح شـكل في الطبـع وارذا صنف من الورق ولا يعنون بترتيبها وتنظيمها على الشكل الحديث ولا بتصحيح التحريف وغيره ممـا هو شائع فيها وقد قام بعض المعاهد بطبع بعض الكتب الرياضية فعذرنا بجانبه هؤلاء الناس الذين لا يهمهم هذا الامر ولا دلالته على دقة ارادة المعاهد وحسن ذوقها ولا حسن اثره في نفوس الطلاب وترقية اذواقهم فيجب ان نعتني بهذا الاصلاح ايضاً ونـكل امره للجنة التأليف ويجب ان لا ينتخب لها الا من يشتهر بمؤلف نافع وان لا يستمر فيها الا من يظهر له من المؤلفات ما يبرر انقطاعه لها أما المجمع العلمي فيؤلف من أعضاء لجنة التأليف ومن غيرهم

من كبار المدرسين بطريق الانتخاب أو التعيين ويجب ان لا يقل اعضاؤه عن الخمسين وتكون وظيفته مراقبة الحركة العلمية فى العالم الغربى والشرقى وتمحيص الاراء والمذاهب التى تجد فيها والتوفيق بينها وبين مالنا من دين وعادات حتى يكون الجمهور على بينة منها فى دينهم ولا نتركهم كما نتركهم الان لكل ملحد ومبتدع فى الدين وداع الى هدم آدابنا وعاداتنا وما أكثر الداعين بيننا وما أبعد مسافات الخلف بينهم فهذا يدعو الى التشدد فى الدين بما لا يلائم روح هذا العصر والدين يسر لا عسر وذاك يدعو الى الاباحة وترك الدين وبينهما مراتب فى الدعوة الى البدع لا يحصيها الا الله وستكون عاقبتها تفريق الامة وتضييعها بين الاهواء والبدع ان لم تدركها بمثل هذا المجمع

كيف تهذب العلوم

أن العلوم التى تدرس فى المعاهد تنقسم الى قسمين علوم تنفرد بها عن غيرنا بمقتضى مالنا من لغة خاصة ودين خاص وعلوم يشاركنا غيرنا فيها كالعلوم الطبيعية والرياضية ولا

جدال فى أن هذه العلوم قد سبقنا فيها علماء اوربا وهذبوها تهذيبا عظيما ولست فى حاجة أذن الى ان اتكلم تفصيلا على ما يجب أن نسلكه فى درسها وأنما الواجب ان نبحث عن الشكل الذى تدرس به عندهم ونحذو حذوه عندنا

كما يجب أن لا تقتصر على درس بعضها دون البعض وأن لا نترك الاهم منها ونشتغل بغيره فندرس علوم الحساب والجغرافيا والجبر ونحوها ونترك علم الكيميا ونحوه من العلوم التى يرجع الفضل أليها فى رقى اوربا وتشغل مباحثها العويصة اندية العلم فى سائر الاقطار خصوصاً العلوم التى تتكون منها الفلسفة الحديثة التى نسخت كثيرا من الفلسفة القديمة التى لا نزال نفتر بها

أما العلوم التى ننفرد بها عن غيرنا فهى التى اريد تفصيل الكلام فى تهذيبها لتكون مثل علوم الغربيين من نوعها وتتلاءم مع عصرنا فتعود لها بهجتها وترجع الى النفوس منزلتها ولا يصح وقد تطلعنا الى العلم الحديث ان نقيم على درسها فى شكلها القديم والا نكون كمن يحاول ان يجمع بين الضدين أو يظهر للناس بثوب نصفه قديم ونصفه جديد

وهل ينهض شخص وهو ينظر الى الوراء كلا ورب الارض والسماء وأنا بادئون بعلم التوحيد ثم نتبعه غيره

﴿ علم التوحيد ﴾

لقد اصيب هذا العلم بما بعد به عن الغرض المقصود منه وهو العلم بالعقائد الدينية علما صحيحا فقد أطلق فيه للوهم والخيال السراح فنأيا عن مواطن الحق وصارا به الى تعسفات من الباطل وجاء يعضدهما التعصب لأصحاب المذاهب الكلامية فزاد من عمى الناظرين فيه وجعل الحق وقفا على رجال دون رجال حتى أن اتباع كل مذهب يأبون الا ان ينظروا بعين الرضا لكل فروعه ولا يرضون أن يخطأ فى فرع منها كأنه خفى عنهم أن العصمة لله وحده

ولما ترجمت الفلسفة اليونانية الى العربية ولم يشأ علماء هذا الفن الا أن يخلطوا مسائله بمسائلها وأن ينزلوا بعقائده على حكمها كان لها أكبر نصيب فى احداث الاضطراب فيه وصرف كثير عن طريق الحق فى عقائده

وكأنى بمن يقول من من المتكلمين أثرت فيه هذا التأثير ولا نعلمهم ألا يتركون على اتباعها أشد نكير

ويكفرونهم أقبح تكفير ولست أنكر ان كثيرا من المتكلمين يشعرون نحوها هذا الشعور ويعرضون عنها بالوجوه ولكنها تأتيهم من الظهور وتبث فيهم ماتشاء من تشكيك وغرور وأي غرور بعد تطاولهم على السلف من خيار الصحابة والتابعين وظنهم أن نظرهم في العقائد أصوب من نظرهم وأن طريقهم في التأويل بتأثير هذه الفلسفة أعلم من طريق السلف في الوقوف عند حد النص وأن كان اسلم وطريقهم هو الذي فرق كلمة الاسلام وشغل المسلمين عما يفيد من علم وعمل الى مالا يفيد من خلاف في الدين وجدل لأن ذاك التأويل لا يمكن ان يكون له حدود معروفة يرجع الكل اليها ولا يتوسعون به في الخلاف الى هذا الحد الذي لا نهاية له والحقيقة ان ما علمنا بطلانه من تلك الفلسفة قليل بجانب ما استهوانا من أوهامها وانحرف بنا عن طريق السلف الصالح من اهوائها

كل هاته العوامل صعبت على الناظرين في هذا العلم الوصول الى الحق وجعلت غاية مايكسبونه منه الحيرة والشك وهؤلاء أئمته الكبار كالغزالي والرازي يشهدون على أنفسهم

بذلك فيقول قائلهم اكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام ويقول شاعرهم

نهاية أقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

وانه لغريب أن نستمر على درس هذا العلم بالشكل الذي وضعه اولئكم الاقوام بعد أن شهدوا على أنفسهم انه أضر بهم في دينهم وغريب ان نستمر على التأثر فيه بتلك الفلسفة التي كانوا يجعلون درسها اساسا للنظر فيه وكان لهم من تسلطها على العقول في عصورهم عذر في تأثرهم بها ولكن من يعذرنا في عصرا نكشف فيه حالها وتبين أنها كانت مؤسسة على اوهام وخرافات وهذا بفضل الفلسفة الحديثة التي لا تعتمد في بحثها الا على ما شهدت بصدقه البديهة وسلمت بصحته الفطر السليمة وخص بالطرق التي تفحص بها مسائل الرياضة والطبيعة فأذا لم نشأ الا أن نجعل للفلسفة في هذا العلم المنزلة التي جعلها لها من قدمنا من علمائنا فأولى بهذا فلسفة هذا العصر الذي نعيش فيه

وأكبر نقص في هذا العلم انه لا يتعرض فيه لما جد في هذا العصر من انواع الزيغ والالحاد ولا لما يلزم لدفعها وابطالها بنفس الطرق العلمية التي يدعي اهلها انهم اسسوها عليها وأنه لمن العار على المسلمين عموما والازهريين خصوصا أن لا يشتغلوا في علم الكلام الا بالرد على بدع قد اندرست ولا يلتفتوا لمن يزاحمهم ببدعه في ديارهم ويستهوي أفئدة الكثير منهم بينما يقوم بالواجب مع اكبر طائفة منهم بعض علماء أوربا الذين اظهروا للناس علم الاسبرتزم (استحضار الارواح) معجزة القرن العشرين وحجة الدين على الملحدين ومعظمنا لا يعرف له الى الآن اسما ولا يدرك له حدا ولا رسما ويجب قصر كتب هذا الفن على بحث العقائد الدينية ورد الشبه والبدع قديمها وجديدها ولا يصح ان يتعرض لما تتعرض له كتبه القديمة من مسائل الفلسفة العامة والطبيعة والرياضة فأنه قد اصبح لما تتعرض له من ذلك فنون واسعة مستقلة فمن اللائق أن تترك بحثه لها وقد تقدم أن من الواجب في التعليم عدم خلط مسائل علم بآخر من العلوم على أن تعرضنا لهذه الفنون في هذا الفن اعطاها شكلا دينيا وجعلها

مما تتناوله التعصبات المذهبية وقف ذلك بها عند حد التصديق بمباحثها القليلة التي ترجمت لنا عن اليونان أو عدم الوثوق بها لانها أتت من غيرنا حية الشرع كأن من وظائفه تعليم تلك العلوم ومن يعرف ان الغرب لم تستقم حاله الا بعد أن بحث هذه العلوم مستقلة عن علوم الدين لا يتردد في وجوب أبعادها في معاهدنا عن متناول النزاع الديني عندنا حتى لا يعوقها في سيرها عائق ولا يعترضها في طريقها بغير حق شيء باسم الدين

﴿ علم الفقه ﴾

أذا جاز لعلم من علومنا أن يقف عند حد في مباحثه لم يجز ذلك لعلم الفقه الذي يجب أن يمشي مع الزمن ويبدي رأيه في كل ما يجد فيه قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس قضايا بقدر ما يجد لهم من الفجور فهل فقهنا اليوم يفي بحاجاتنا في هذا العصر الذي جد فيه من الحوادث في باب المعاملات من بيوع وشركات وغيرها مالا يحصى ونحن لا نزال نقرؤه في كتاب أبي شجاع وغيره مما مضى عليه عدة قرون اللهم لا يفي بذلك ولا يصح ان نغالط انفسنا بعد أن ترك العمل أنه

به معظم الدول الاسلامية الا فى باب الاحوال الشخصية فهل ذلك منها عن بغض للدين كلا ولكنه شعورها بأن فقهنا على حاله لا يفى بحاجاتها فى عصرنا الذي كثر فيه تبادل المنافع بين الامم على اختلافها فلزم له من التشريع ما يتلاءم مع ذلك ولزم لنا وضع احكام كثيرة لما يوجد عند غيرنا من المعاملات ولا يوجد عندنا وأن نراعى حكم الضرورة فى معاملتنا مع الشعوب التى أصبحت صاحبة التجارات والصناعات

ثم انا فى درس الفقه فى سائر ادوار التعليم عندنا لا نعنى الا بمعرفة الاحكام ولا نعرف من اين أخذت ولا دليلها من الكتاب والسنة والا يبحث الخلاف بين الرملى وابن حجر وغيرهما من الفقهاء المتأخرين ونترك بحث الخلاف بين أبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وغيره من الأئمة المتقدمين وقد كان هذا أولى لأنه يعرفنا مآخذ أقوال أئمة هذا الفن ويطلعنا على طرق استنباطهم فيمكننا ان نستنبط بها احكام ما يجد في زماننا من كتاب الله وسنة نبينا ونطلع على اسرار التشريع عندنا حتى تكون مثل دراسي القوانين العصرية

فى سعة اطلاعهم على ما آخذها من القوانين القديمة والحديثة الوضعية والسماوية وفى قدرتهم على استنباط الاحكام الجديدة

ويجب ان ندرس فى القسم العالى مذاهب الفقه القديمة المشهورة وغيرها لنعرف أنسبها لعصرنا وأوفاها بحاجاتنا وأكثرها انطباقا على أصولنا ولو كان مما اندثر منها وأنى لا أذكر ما نال أكثرها من الاهمال مع شدة حاجتنا اليها الآن الا مع الاسى وكان الواجب وقد قلنا أن فى اختلاف الأئمة توسعة على الناس ورحمة أن نحافظ عليها حتى يجدوا منها فى سائر العصور ما هو أنسب لحالهم وأرحم بهم خصوصا هذا العصر الذى حينما نعثر فيه على أمر قديم يوافق أمرا جديدا لم نملك أنفسنا من الفرح وقلنا مفتخرين تلك آثار آبائنا فاذا لم يدعنا ذلك الى درسها وحفظ ما بقى منها فليدعنا اليه واجب المحافظة على آثار آبائنا لنكون مثل الامم الحية التى تحافظ على آثارها ورب شيء لا نحتاج اليه اليوم تكون فى أشد الحاجة اليه غدا ويجب أيضا ان ندرس فى هذا القسم القوانين الوضعية التى حلت عند الامم اليوم محل القوانين السماوية لنعرف مسافة الخلف بينهما وندرك السبب الذى

جعل الدول الاسلامية تقف موقفها معهما ونعمل على تقريب المسافة بينهما فما كان من تلك القوانين موافقا القانون العدل ومطابقا لاصولنا أخذنا به وما كان خارجا عن حد الانصاف بينا خطأه للناس ليرجعوا عنه

﴿ علم الاصول ﴾

من الواجب أذا صنعنا هذا بعلم الفقه أن نصنع مع علم الاصول ما يتلاءم معه فندرس مع أصولنا أصول الشرائع الوضعية التى تأخذ منها أحكامها خصوصا الاحكام التى تأثرت بها الدول الاسلامية مثل تحليل الربا وعدم قطع يد السارق وعدم رجم الزانى وقتل تارك الصلاة لنعرف السرفى أيثارها لها وهل من الممكن ان نعيدها الى العمل باحكام شريعتها ولنعرف ايضا صحيح تلك الاصول وفاسدها ونحاول التوفيق بين اصولنا وبين ما لا يمكن أن نردهم عنه منها أذا ظهرت حاجتهم أليه وكان لهم من عصرهم عذر فى أيثاره

ثم أن هذا الفن ليس الا وسيلة لاستنباط الاحكام الفقهيه فيجب أن يدرس على طريقة الفقهاء التى يعنون فيها بالاكثار من الامثلة والشواهد وبناء المسائل على النكت

الفقهية فهذا يربى فى طالبه ملكة الاستنباط المقصودة منه وأن نترك طريقة المتكلمين الذين يجردون صور مسائله عن الفقه ويميلون فيها الى الاستدلال العقلى ما أمكن ولا أنكر أنه من الواجب خصوصاً فى هذا العصر أن نشيد أصولنا على دعائم من العقل لا تجعل لخصومها كلاما فى أحكامها لكن يجب أن لا يذهب ذلك بنا الى تضييع المقصود من هذا الفن وأن نرمى به وراء ظهورنا ونلتفت الى شئ ليس الزم لعلم الاصول منه بل أن علم الاصول بهذا الاسم لا يتصرف ألا الى كتابة الفقهاء فيه اما كتابة المتكلمين فيصح أن يوضع لها فن آخر يدرس وحده ويسمى فلسفة التشريع وهذا أولى من الجمع بين الطريقتين فى التأليف والدرس لانه أبعد عن تشتيت الفكر بصرفه فى كل مسئلة مرة لهذا ومرة لذاك

ومن اللازم حذف ما ألحق بهذا العلم من مسائل العلوم الاخرى فقد تقدم أن خلط مسائل علم بمسائل آخر مضر بالتعليم وأنا لا نجد علما كالاصول كثر الدخيل فيه من العلوم الاخرى أذ تدرس فيه مسائل المنطق كلها كأنا لم ندرسها مرتين قبله فى كتبها وكذا مسائل كثيرة لغوية وكلامية بل أن مسائل

الاحكام وليست الا مسائل كلامية هى عندنا كل شئ فى هذا الفن ويضيع معظم زمنه فى درسها ولا يكون الامتحان النهائى الا فيها

﴿ علم التفسير ﴾

أن الكاتبين فى التفسير لم يهتدوا الى الحد الذى يجب أن يقف عنده المفسر لا يزيد عنه ولا ينقص فتفاوتت كتابتهم بين اقلال لا يفى بالفرض واكثار خرج بهم عن اصل العلم الى ما غلب على طبع كل واحد منهم من العلوم فشحن الفقهاء تفسيرهم بغير المقصود من استنباط الاحكام وترجيح مأخذ امام على امام واقام المتكلمون فيه سوقا للجدل بينهم وخلطه المتصوفة برموزهم واشاراتهم وملأه المؤرخون بالقصص الاسرائيليه التى نقلوها عن كعب الاحبار وغيره من أهل الكتاب وقد قال ابن خلدون عنهم انهم لم يكونوا فى نشأتهم بين البدو من العرب يعرفون ان ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ينقصه التحقيق العلمى والتمحيص العقلى وعذر من رجع اليهم من الصحابة انهم كانوا عربا تغلب عليهم البداوة والامية ولم يكونوا أهل كتاب وعلم فرجعوا اليهم

فيما تعرض له القرآن من الحوادث التاريخيه وغيرهـا من مسائل العلوم فواجب أن نترك درس التفسير في تلك الكتب التي يقول أبو حيان المفسر عن واحد منها وهو تفسير الفخر الرازي الذي يرجع اليه كل الناظرين فى هذا العلم (أنه فيه كل شيء الا التفسير) وأن نضع فيه كتابا آخر لا يعنى الا بشرح كلام الله وتوضيح ما أشكل منه وتحقيق وجوه اعجازه الذي قام به حجة بين البشر ولا يتعرض لمسائل العلوم الا بقدر الحاجة اليها ولا للمذاهب العلميه الا عند الضرورة وبقدر معرفة ايهـا أقرب لنص القرآن فلا يتجاوز ذلك الى حد الترجيح بينها وأقامة سوق للجدال فيها فهذا له مواضع فى علومه ولا معنى للتطويل به فى هذا الفن

ثم انه يجب ان نرجع فى تحقيق ما تعرض له القرآن من مسائل العلوم الى العلم الحديث ونترك التعويل فيها على العلم الذي أخذ عن مسلمي أهل الكتاب وقد عرفت قدره مما سبق لابن خلدون فكيف يكون قدره اليوم والكتب التي كانوا يزعمون النقل عنها قد أصبحت بين أيدينا فلماذا لا نرجع اليها لنعرف كيف نقلوا ما نقلوه مما لا يتفق معها

فى أمور كثيرة بل لماذا لا نرجع الى علم التاريخ المصرى الذي أنطق آثار المتقدمين بما لهم من الحوادث والاخبار فنعرض عليه ما تعرض له القرآن من قصصهم يبحثها بحثا يبعدبها عما زادته فيها كتب التفسير من الاكاذيب والاساطين ولا نترك الامر للذين يكتبون فى التفسير اليوم ممن لم يترب تربية دينيه صحيحة فتضل فيه أفكارهم والذنب علينا لا عليهم فأنا الذين قصرنا فى القيام بذلك الواجب وتركناه لهم

﴿ علم الحديث ﴾

من النقص أن لا نعنى فى هذا العلم ألا بدرس صحيح البخاري أو مسلم ونترك غيرهما من كتب الحديث مع أن فيها من الاحاديث مالا يوجد فيهما وقد تكون الحاجة اليها أشد من كثير من احاديثهما وكان الاجدر أن نصرف فى درسها ما يضيع فى درس الأحاديث المكررة فيهما فيجب وضع كتاب يجمع ما تفرق من الاحاديث فى كتبها ويترك المكرر منها فيها ويذكر فيه كل حديث له مخالف بجانبه ليوازن الطالب بينهما ويعرف ايهما ارجح

ويجب أن نترك قراءة الاسانيد اذ لا مطمع فى أن نحصل

فى عصرنا على رجال يحفظونها ولم يعـد لذلك حاجة فى زمن
لا يعول فيه على حفظ الصدر فى حفظ ما يخشى ضياعه وما
احسن أن ندرس بدله تراجم رجال الحديث وحالهم فى الثقة
والضعف ليعرف طلابنا بهذا صحيح الاحاديث من ضعيفها
ونوع ضعف كل منها فلا يستهويهم كل داع الى بدعه ولا
يغشهم فى دينهم غاش وكذلك يجب أن لا ندرس ناسخ الحديث
ومنسوخه وبعضا من الاحاديث الضعيفة والموضوعة
ايمكنهم الارشاد الى الصواب فيها أذا سئلوا عنها فهذا
ونحوه كان الزم شئ لرجل الحديث ولم يكن له قيمة بدونه
مهما قرأ أو حفظ من الاحاديث

ويلزم ان لا نترك هذا الفن بدون نظرة جديدة تمحص
منه ما يستحق التمحيص وتعرض ما يستحق العرض على
العلم الحديث فأنه أذا ساغ للغزالى أن ينكر ما زاده بعض
الرواة فى حديث أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد
مما يفيد أن كسوفهما يكون عن خشوع لله أذا تجلى عليهما
لانه قد ثبت أن سببه غير ذلك فى علم الهيئة وأذا ساغ لابن
قيم الجوزية أن يحمل حديث لا عدوى على ان النبي صلعم

قاله بناء على ظنه أن العدوي غير مؤثره وأن ثبت في الطب أنها مؤثرة فكيف لا نحذو فى ذلك حذوهما وقد أصبح مثل علم الهيئة والطب اكثر تحقيقا مما كان وأعز كلمة وانفذ فى الناس حكما

﴿ علوم البلاغة ﴾

يجب أن يقصد من درس علوم البلاغة الثلاثة امران الأول ان يعرف منها دارسها وجوه الفصاحة فى لغة العرب ليعرف كيف اعجز القرآن أئمة البيان فى الشعر والنثر بما فيه من اسرار تلك الفصاحة وليعرف درجات الكلام في الفصاحة والبلاغة ليمكنه الموازنه بين الشعراء والكتاب الثانى ان تربى فى نفسه ملكة البلاغة والانشاء الفصيح وهذا اهم مما قبله لانه اذا لم يكن الشخص بليغا فى نفسه فلا يمكنه ان يذوق طعم البلاغة فى كلام غيره

وقد كانت هذه العلوم وافية بأدراك ذلك ايام كان يدرس ويكتب فيها مثل عبد القاهر والجاحظ وابى هلال العسكرى ممن غلبت عليهم ملكة البلاغة علما وكتابة فكانوا لا يذكرون وجوه البلاغة مجرده كما نصنع الآن بل يسترسلون

فى التطبيق عليها الى ما شاء الله ويستطردون الى ذكر كثير من جيد المنظوم والمنثور ليعرف ما ناله من الحسن بسبب مراعاتها ثم الى ذكر ما فاته منهما مراعاتها وكان أسلوب تعليمهم وتأليفهم مع هـذا أسلوبا يربى حقيقة فى دارس هذه الفنون قوة البلاغة لانه كان يسيل رقة وفصاحة

أما الآن فلا يمكن الحصول منها على ذلك لانا ندرسها فى كتب متأخرى المتكلمين الذين غلب على طبعهم علم الكلام وأسلوبه الجدلى فجردوا مسائلها مما كان لها بمنزلة الروح من الجسد وتركوا البحث البلاغى فى كلام البلغاء الى البحث الكلامى فى مثل تعريف البلاغة والصدق والكذب والخبر والانشاء وفى عبارات الشروح والمتون هذا مع أسلوب فى التأليف ليس فيه الا قيل وقال وقوله وكتب أيضا والا تعقيدا وركة يفسدان ملكة البلاغة ولا يربيانها

ثم أنا مع هذا لم نحاول أن تكمل لغتنا ما ينقصها (والنقص على غير الله ليس بمحال) من اللغات الراقية بـل نتغالى فى تنزيهها عن النقص والحاجة الى غيرهـا ولا نلتفت الى تلك الحملات التي يقوم بها أنصار الادب الحديث كان الامر لا

يمنينا وليس فى لغة قرآننا وقد قال ابو هلال العسكرى أن
من عرف ترتيب المعانى واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة
من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة
الكلام مثل ما تهيأ له فى الاولى الا ترى أن عبد الحميد
الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من
اللسان الفارسى فحولها الى اللسان العربى اه فهذا شاهد عدل
على أن اللغات يستفيد بعضها من بعض وأن اسلافنا ما كانوا
يأبون أن يكملوا نقص لغتنا بما رأوه حسنا فى غيرها من اللغات

﴿ علم النحو والصرف ﴾

كانت مصيبة هذين العلمين مثل مصيبة علوم البلاغة
لما ألف فيهما المتأخرون ولم يدرسا فى كتب المتقدمين كالخليل
وسيبويه فجعلوا صناعة العربية حرفة نظرية وأجروها مجرى
علم الكلام بحثاً فى الخلافات بين علماء البصرة والكوفة فى
مسائلها واكثاراً من الادلة لترجيح مذهب سيبويه على غيره
وسعياً وراء نكتة تافهة أو علة ساقطة وأبعدوا بهذا على
المتعلم ثمرتها وقد كانت طريقة المتقدمين وافية بادراكها
لانهم ما كانوا يقتصرون فيهما على قوانين الاعراب بل كانوا

يملأون كتبهامن أمثال العرب وشواهدشعرهم ونثرهم فيقرب على المتعلم ادراك ثمرتها ويحصل على علم اللسان ملكة كما يحصل عليه صناعة وكانوافى ترجيحهم مذهباً على مذهب لا يسلكون جهة الاقتضاء الذهنى كما يصنع المتأخرون وانما يرجعون فيه الى جهة محامل اللسان وتراكيبه

ثم ان الخلط بين هذين العلمين فى التأليف والتعليم وجعل علم الصرف فيهماذيلا لعلم النحو أضر بعلم الصرف فلم يهتم به فيهما كعلم مستقل يجب أن يأخذحظه فى التعليم كغيره من العلوم وجعله عرضة للتساهل فى الدرس لان هذا فى الغالب نصيب ذيل كل علم أو كتاب يقرأ عندنا فيجب أن يكون لكل علم كتب مستقلة وزمن يأخذه وحده ولا يجمع بين علمين فى زمن قد يصرف معظمه فى أحدهما ويحرم الثانى من نصيبه فيه كما جرى ذلك لهذين العلمين ولعلمي البيان والبديع مع علم المعانى

﴿ علم الانشاء ﴾

ان درس هذا الفن بالمعاهد لم يأت بالغرض المقصود ولم يخرج لنا من رجال الادب وأئمة البيان مثل ماخرج غيرها

من المعاهد العلمية الموجودة فى مصر

ولقد فكرت فى سبب ذلك فوجدت أهم أسبابه خمسة

أولها انا نعلم الطلاب الانشاء التحريرى ولا نمرنهم قبله على الانشاء الشفهى وقد قال الاستاذ على عمر فى كتابه هداية المدرس (من العبث مطالبة التلاميذ بالتحرير الصحيح قبل أن يتعلموا أولا الكلام الصحيح)

ثانيها انا نحاول تربية ملكة الانشاء فى طلابنا بهذا الفن ولا نلاحظ أن ذلك يلزم له أن نسلك طريقة تناسبه فى درس العلوم فأبقينا الكتب الدراسية وطريقة الدراسة على حالهما الذى بيناه .

ثالثها انا لم نعط هذا الفن ما يلزم له من الزمن باعتباره أولى العلوم العربية بالعناية فانه لها بمنزلة الثمرة ولا يليق ان يأخذ النحو حصة كل يوم ولا يأخذ الانشاء الا حصة فى الاسبوع مع أنه يلزم له فى الاسبوع حصة للمطالعة وحصة للانشاء الشفهي وحصة للانشاء التحريري وحصة للتصحيح وأن لا ينتهى تعليمه فى القسم الثانوي والطالب لم يتم درس البلاغة فلا يمكنه ان يستفيد بما فيه

رابعها انا نختار لطلابنا كتب المطالعة والمحفوظات من كتب الادب القديمة فنظل بعيدين بهم عن حركة الادب في عصرنا ومما جد فيه من آداب الكتابة

خامسها انا نسلك في تصحيح كراسات الانشاء احدى طريقتين فاما ان يجمعها الاستاذ ليصححها في بيتـه واما ان ينادي الطلاب في الحصة واحداً واحداً ويصحح له بينه وبينه وعندي ان هناك طريقة احسن منهما هي ان نجعل للتصحيح حصة يقرأ كل طالب فيها كتابته أمام اخوانه ليعرفوا غثه من ثمينه وليرشده منهم من يكلفه الاستاذ الى خطئه فمثل هذا يعود عليهم بفوائد جليلة يدربهم على الالقاء ويربي فيهم ملكة النقد ويطلعهم على محاسن اخوانهم في الكتابه وعلى عيوبهم فيها

﴿ أدب اللغة العربية ﴾

بين الأستاذ طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء انه لم يكن يعني في درس الآداب العربية قبل أنشاء الجامعة المصرية الا بدرس الشعر والنثر وبيان ما فيهما من وجوه الفصاحة أو خروجهما عنها والا بأظهار التفاوت بين الشعراء

والكتاب حتى تظهر مرتبة كل شاعر وناثر بين شعراء العربية وكتابها فلما أنشئت الجامعة ودعى اليها جلة الاساتذة من المستشرقين فى أيطاليا وفرنسا وألمانيا أدخلوا فى ذلك نوعا آخر يعنى بتحليل الآداب وردها الى مصادرها الاولى من المؤثرات فى الحياة النفسية والدينية والعلمية والادبية للافراد والجماعات ولا شك أن هذا لا يحتاج من دارسه ان تيقن علوم اللغة العربية فحسب بل لابدله أن يلم الماما بعلوم الفلسفة والدين وأن يدرس التاريخ وتقويم البلدان درساً مفصلا ولا يكفيه أيضاً من درس اللغة حسن البحث عما فى القاموس واللسان وغيرهما بل لابدله مع ذلك أن يدرس أصول اللغات القديمة ومصادرها الاولى وأن يدرس الآداب الحديثة فى أوربا وطرق البحث فيها عند الفرنج وأن يعرف علم النفس للافراد والجماعات حتى يمكنه اتقان الفهم لما تركه الكاتب أو الشاعر من الآثار وكلا الدرسين (القديم والحديث) فى الاداب لاغنى للطالب عنهما فالاول ينفعه فى تكوين ملكة الكتابة والشعر ويعطيه قوة فى النقد وحسن الفهم لآثار العرب والثانى يمكنه من فهم الامة العربية فهماً صحيحاً ويعلمه

مناهج البحث ويمثل له روح الامة في أطوارها المختلفة

ثم ذكر أنه نشأ بين هذين المذهبين مذهب لا هو بالقديم ولا بالحديث وليس بالنافع فى تكوين الملكات الادبية ولا بالمفيد فى تعليم مناهج البحث وهو مذهب العامة من أساتذة الاداب في مدارس مصر كمدرسة القضاء ودار العلوم وغيرهما لا يعنون الا بتسمية طائفة من الشعراء والكتاب يؤرخون مولدهم وموتهم ويلقنون الطالب شيأ من منظومهم ومنثورهم ولا يزيدون على ذلك شيأ ولاشك ان هذا هو المتبع في هذا الفن عندنا ومن المحزن أن تسبقنا الجامعة فيه على حداثة عهدها

﴿ علم القراآت ﴾

أعاد النظام الجديد درس هذا الفن فى المعاهد فأحياه بعد أن انصرف العلماء عنه وتركوه لمثل قراء الارياف والمدن وقد كان الواجب أن لا يتبع فى درسه عندنا طريقتهم بل طريقة تليق بعظمة المعاهد

فنعنى بعد تلقين القراءات بارجاعها الى لغات العرب وهذا امر مهم يتسع فيه البحث عن لغات القبائل العربية المختلفه

وعن اللغات التي نزل بها القرآن منها وعما تحتاج اليه كل قراءة منها وهل كل قراءة تلتزم لغة قبيلة أم لا

فاذا درسنا ذلك الفن هذا الدرس العالي فلا تليق المبادرة بدرسه للناشئين ولا التساهل في درسه بقصره على طائفة من الطلاب ويجب أن تدرس القراءات كلها فيه شاذة وغير شاذة فانه لو لم يكن في درس القراءات الشاذة الا المحافظة على آثار اسلافنا لكفى

﴿ علم المنطق ﴾

كان المتقدمون كما قال ابن خلدون لا ينظرون في هذا الفن الا من جهة انه آلة للعلوم وأن الغرض منه اظهار الخطأ من الصواب في نظر العقل وكان الذي ينظرونه من مسائله بمقتضى ذلك محصورا في عشرة أبواب يتكلم في أولها على الاجناس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات والمعقولات وفي ثانيها على الكليات الخمس التي تتركب منها المعرفات وفي ثالثها على المعرفات من حدود ورسوم وفي رابعها على القضايا ونقائضها وعكوسها وفي خامسها على القياس من جهة صورته وفي سادسها عليه من جهة مادته وتحته خمسة ابواب باب البرهان

وباب الجدل وباب الخطابه وباب الشعر وباب السفسطة فلما
تناوله المتأخرون رأوا ان يحذفوا من ذلك باب المقولات
لان نظر المنطق فيها بالعرض لا بالذات مع ان تعرضهم لها في
هذا الفن احسن من تعرضنا فيه لمباحث الالفاظ والدلالات
لانها تعرف المنطق اصول الموجودات فاذا اراد ان
يشرح مجهولا رده الى اصله منها وميزه عن غيره بخصائصه
ثم تكلموا على القياس من جهة صورته وانتاجه المطالب
على وجه العموم وحذفوا الكلام عليه من جهة مادته فلم
يتعرضوا للابواب الخمسة الاخيرة وربما يلم بعضهم باليسير
منها مع ان الكلام فيها اهم شيء في هذا الفن وزاد الطين بلة
انهم نظروا فيما تعرضوا له من مسائله كانه مقصود بذاته وليس
آلة لغيره فاطالوا الكلام فيه واكثروا من المباحث التي لا
ارتباط لها بالغرض منه واول من فعل ذلك فخر الدين الرازي
وقد مضى الف سنة واكثر ونحن جامدون على منطق
أرسطو مع أن الغربيين على قرب اشتغالهم به لم يجمدوا عليه
بل غيروا فيه وهذبوا حتى ان قياس ارسطو لا يرضيهم في
انتاج المطالب ولا يثقون بحكمه على الجزئيات بحكم الكليات

وانما يثقون بدليل الاستقراء الذى يحكم فيه على الكليات بحكم
الجزئيات وهو المعول عليه الان فى الفلسفة الحديثة لتمحيص
مسائلها فيجب أن ترجع فى درس المنطق الى طريقة المتقدمين
ان لم ترجع الى ما صار اليه عند الغربيين وهو الاليق بنا

﴿ علم الاخلاق ﴾

يمر درس الاخلاق فى دورين نأتى فى ثانيهما بما يسمى
درس الاخلاق العالية وليس له عندنا نصيب من اسمه فلا
نبحث فيه الاخلاق بحثاً فلسفياً بل أغلب مباحثه كسابقه يعنى
فيها بتحبيب الاخلاق الفاضلة الى الطالب بتزويق الالفاظ
وذكر الشواهد ولا يهتم باقامة صرح الاخلاق على دعائم من
البراهين المنطقية التى لا تجعل سبيلا للشك فيها أو التهاون بها
ولا ببيان شكل الاخلاق عند كل شعب من البشر
وارتباط هذا بطبيعة الاقاليم وديانات الشعوب وعاداتها لتتسع
معارف الطالب ويعرف درجات الشعوب فى الاخلاق ولينتفع
بها اذا ساح فى الارض لغرض دينى أو دنيوي

﴿ الوضع وأدب البحث والمناظره ﴾

لا أعجب لشئ عجبى لتدوين تلك المسائل القليلة التافهة

تحت هذين الاسمين فتعتبر كأنها علم مستقل يصح أن يفرد بالتأليف والتدريس ويقاسم غيره فى مدة التعليم ويزاحم العلوم المهمة التي لا تجد ما يكفيها من الزمن ولست أدرى أي فائدة لهذا وقد كان من الممكن بحث مسائل الوضع فى حصة أو حصتين عند الكلام فى علم البيان على الوضع الحقيقى والمجازي ومسائل المناظرة فى ذيل علم المنطق .

هذا ولا يتردد فى وجوب ترك أفراد مسائل مثل هذين العلمين بالتدوين من يعلم ميل المؤلفين عندنا الى تكبير حجم الكتب بفتح باب قيل وقال واعترض وأجيب ولا ننس المبادئ العشرة التي يذكرونها فى أوائل كل علم ومقدمات العلوم الداخليه والخارجيه والمسائل التي ينقلونها من علم الى علم فليس أصوب من حذف هذين العلمين والا فلا نأمن ان يدركهما مؤلف يخرج لنا من كل منهما بعلم طويل وكتاب ضخم فيزيد الطين بلة

علوم متروكه

هذه أهم علومنا قد عرفت عيوبها وطرق اصلاحها وهناك علوم من علومنا قد تركنا درسها مع انها اهم من بعض

العلوم التي ندرسها واليك بعضاً منها

﴿ علم اللغة ﴾

ليس من اللائق ان ندرس علوم اللغة من نحو وغيره ونهمل درس هذا العلم الذي هو لها بمنزلة الاصل فهل يسرنا من طلابنا ذلك الجهل الفاضح بلغتنا بجعل العامية هي الشائعة في لسانهم وكتابتهم وجعلهم لا يميزون بين الدخيل فيها وغيره ولا يعرفون ضبط الكلمات ولا المترادفات والمشتركات وغير هذا من اسرار هذا الفن ومما يلزم لها بأزاء ما جد في هذا العصر من المخترعات التي لا تحصى ولا يوجد لها اسماء فيها وجزي الله عرب الشام المسيحيين وغيرهم ممن قام بهذا الواجب للغة القرآن فاعتنى بدرسها والف فيها ما تتنافس الان في اقتنائه

﴿ علم الاشتقاق ﴾

هذا علم ذو مباحث فلسفية جليلة موضوعها البحث عن كيفية نمو اللغة وتكاثر الفاظها وقد اتسعت دائرته اليوم وبتناوله البحث عن كيفية تفرع اللغات البشرية عن اصولها وغيره من المباحث المهمة التي يتنافس فيها علماء اوربا لتوقف معرفة اصول الشعوب عليها

﴿ قرض الشعر ﴾

كان للشعر والشعراء منزلة عالية فى الجاهلية والاسلام وكان اللازم وقد اردنا احياء فن الكتابة باعادة درس علم الانشاء ان نسعى فى احياء شقيقه فن النظم فمن المحزن ان تمتلئ مصر بالشعراء المجيدين فى الشعر القديم والحديث وليس للمعاهد الدينية العربية بينهم شاعر يجيد الشعر فى هذا اوذاك فلندرس هذا الفن الذى اهمل درسه فى الاقطار العربية وترك للصدفة تخرج لنا كل قرن من الشعراء مالا يكفى لايقاظ امتنا بالشعر الذى كان ولا يزال له اعظم تأثير فيها

ومن تلك العلوم التى اهملناها علم الخلافيات الذى يعرف دراسه مآخذ الائمة المجتهدين وادلتهم ويمرنه على الاستدلال واستنباط الاحكام ومنها علوم التصوف وتعبير الرؤيا والسحر والطلاسم واسرار الحروف والتنجيم وغيرها مما تعب فى تدوينه آباؤنا فلا يصح أن نتساهل فيها بل اللائق ان نحافظ عليها كما تحافظ كل أمة على آثار اسلافها وأن نبحثها بحثا جديدا يبين صحيحها من فاسدها اما أهمالها فلا نعذر فيه ممن يأتى بعدنا وقد تضطره الحاجة اليها فيطلبها فلا يجدها فهلا نغار

من علماء اوربا الذين يتعبون أنفسهم بالسفر الشاق والسياحات المخيفة بين المتوحشين في افريقا وأسيا وأمريكا ليبحثوا عن علومهم ودياناتهم وعاداتهم وتاريخهم وليدونوها في كتبهم حفظا لآثار الانسانية من الضياع وهل آثار آبائنا وعلومهم التي هملناها دون تلك الآثار

العلوم التي تدرس في الازهر

يجب أن لا نجعل لمزاحمة غيرنا في الوظائف تأثيرا علينا فيما نختاره للدراسة من العلوم ولا في طريقة درسها وعلى من يريد أن يتاجر بالتعليم أن يقصد غيرنا أما الازهر فيجب ان يحافظ مع حاله الجديدة على ما كان عليه قديما من طلب التعلم لذاته وخدمة الدين به والوصول الى الكمال فيه وأنه يوم يفعل هذا يفتح له باب الوظائف على مصراعيه ويرقى التعليم فيه ولا يكون له حاجة لمثل علم مسك الدفاتر الذي يري بعضنا درسه فيه كأن من شأنه تهيئة الناس للوظائف التجارية والكتابية وغيرها مما لا يعنيه .

ويجب أيضا ان نراعي أن المعاهد ليس من شأنها تخريج

مثل الاطباء والمهندسين من أصحاب الوظائف العملية فلا يصح أن ندرس من علومهم مالا حاجة لنا به ولا أن نتوسع فيما نحتاجه منها كعلم الهندسه وقواعد الصحة ولا يخفى أن العلوم تنقسم الى نظرية وعملية والمعاهد يجب أن لا تعنى الا بالقسم الاول وهو يشمل العلوم الدينية واللغوية وكل علوم الفلسفة النظرية كعلم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ الطبيعي والآثار والجيولوجيا وغيرها من العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية وكلها يندر أن لا يكون لديننا نظرة في أى فرع منها فأنه ليس كباقى الاديان فى عدم عنايتها بأمر الدنيا بل يعنى بأمر الدنيا عنايته بالآخرة ويهمه امر السعادة الدنيوية التى هي غاية تلك العلوم فكان له بها أقوى ارتباط واعظم صلة فيجب أن ندرسها درسا وافيا خصوصاً بعد أن سارت فى بعض مسائلها حين تركناها لغيرنا سيرا غير موافق لديننا وكان لهذا أثر سيء فى نفوسهم من جهته وفى نفوس أبنائنا الذين يأخذون العلم عنهم وكثير ما هم

نصائح غالية

كتب هذا اثناء الطبع

أيها الطلاب أن التعديل الجديد قد أحدث فى نظام

التعليم أمرا لم يسبق له مثيل فى تاريخنا ومع هذا لم يجد منكم ما يستحقة من الاهتمام ان الحصول على الشهادة النهائية لم يعد يكفى فيه الامتحان الذى يكفى فيه التحصيل الذى كان سهلا عليكم بل لا بد فيه من تأليف الرسائل العلمية مثل الجامعات المصرية فلا بد أن يكون تأليفا عصريا فهل عندكم ملكة هذا التأليف اللهم لا فرنوا انفسكم عليه بالاكثار من مطالعة الكتب العلمية العصرية وما كان على شكلها من المؤلفات القديمة مثل مؤلفات الغزالى وابن سينا وابن رشد وابن تيميه فليت شعرى كيف يمكن لمن لم يطالع كتاب المقارنات والمقابلات لحافظ بك صبرى وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد وغيرهما من الكتب الموضوعة فى المقارنة بين المذاهب الفقهية أو بين احكام الشريعة الاسلامية واحكام الشرائع الاخرى أن يؤلف رسالة فقهية وسيقول بعضكم فافرض أنا درسنا علوم النحو والصرف والوضع فأى الكتب نطالعها لذلك وأنى والله لا أدرى بماذا اجيب ولا اعرف ماذا تأتى به الرسائل فى هذه العلوم من جديد فلننتظر حتى نعرف ماذا سيفعلون

هذه كلمتى للطلاب أما كلمتى لمن يظنون أنا لانحتاج لاصلاح ولمن كتب ألى من اخوانى انهم يشعرون بنقص التعليم ولكنهم لايحبون ان تطلع عليه الامة فهى أن الامة والحكومة أيضا يشعران بنقص التعليم عندنا فكل شخص الآن يمكنه أن يعلم ابنه فى غير المعاهد لا يتأخر عن ذلك والفضل للمجانية والمساعدات المالية وعدم اتساع مدارس الحكومة فى اقبال من يقبل علينا من الامة وأما الحكومة فلا أدل على أنها مثل الأمة من أنها تفضل المتخرجين من مدارس المعلمين الاولية على قلة علمهم فتقبلهم للتعليم فى مدارسها ولا تقبل حاملى شهادة العالمية على كثرة علمهم ولا تزال على هذا الرأى بعد التعديل الجديد اذ تضع حامل الشهادة الثانوية فى منزلة المتخرج من مدارس المعلمين الاولية فلا تقبله الا للتعليم في مدارسها الاوليه أما حامل شهادة العالمية فلم تره أهلا لغير التدريس فى المعاهد الدينية والوظائف الكتابيه فى المحاكم الشرعيه اما التدريس فى مدارسها الابتدائيه الثانويه والعاليه فلم تره أهلا له بل من هو أرقى منه عندنا وهو المتخرج من قسم التخصص لم ترقيه الا هذا

والا فما هو السر فى فتح باب المدارس الاولية لحملة الشهادة الثانوية وعدم فتح باب تلك المدارس لحملة شهادتى العالمية والبراءة افبعد هذا نسكت عن نقص التعليم عندنا ولا نرضى أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا غيرنا وأنى أرى والله يومه قريبا وانا سنحاسب فيه حسابا عسيرا

وبعد فأن طلابنا كثيرون جدا ولا يقبل منهم للتدريس فى المعاهد الا قليل جدا ومن لا يقبل نتركه حيران يعض بنان الندم على ما ضيع من زمنه فى التعليم الذى لا قيمة له الا فى المعاهد التى تغلق بابها فى وجهه فيجب أن نجعل تعليمنا ولو فيما قبل التخصيص على الشكل الذى ترضاه الحكومة وتقبله للتعليم فى مدارسها وهذا آخر ما وفقنى الله له فأن أصبت فجزائى على الله ولا ارجو من احد جزاء وأن أخطأت فأرجو أن اردأ لى الصواب بالتى هى احسن ونحن فى عصر ننادى فيه بسماحة الاسلام ونتلمس الاعذار لما وقع فيه من الاضطهاد على رجال العلم فلا يصح أن نلجأ اليها فيه وقد جعل النبى للمجتهد ان خطأ اجرا فلا يصح ان نحمله وزرا والله اسأل ان يدفع عنا الاذى ويحكم بيننا وهو خير الحاكمين

﴿ صحيفة الخطأ والصواب ﴾

صفحه	خطأ	صواب	صفحه	خطأ	صواب
٦	ويظهر ان	ويظهر انه	١٠٢	الا للمعاهد	أن للمعاهد
١٢	مزاياها	مزاياه	١٠٢	الا تفكر	أن تفكر
١٦	يدسون	يدرسون	١٠٢	مداومة	مداواة
١٨	والذى	الذى	١٠٤	من مجلة	من مجلد
٢٩	ام	اه	١٠٤	احرى وذلك	احرى ذلك
٢٩	بالك	ظنك	١١٢	فى ا	فى أن
٣٣	تبحث	(زائدة)	١٢٠	أن ألايلاحظ	أن لا يلاحظ
٣٧	نسيغ	نسوغ	١٢٧	دقة ارادة	ادارة
٤٨	فيجب	فيجيب	١٣٠	يتركون	ينكرون
٥٦	ذ	اذ	١٣١	معرفه	معروفة
٦٥	اقترحه	اقترحته	١٣٩	وترجيع	وترجيح
٧٢	انزلت القرآن	بعد القرآن	١٤٣	يذون	يذوق
٨٦	حياتهم	فى حياتهم			
١٠٠	ملكتها	ملكته			
١٠٢	ليتولى	ليستولى			

